علمي من الرحمن ذي الآلاء
بالله حزت الفضل لا بدهاء

الاستفتاء



حضرة ميرزا غلام أحمد القادياني
المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام



بقلم:

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: الاستفتاء

الطبعة الحديثة: ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥م

Al-Istiftā’

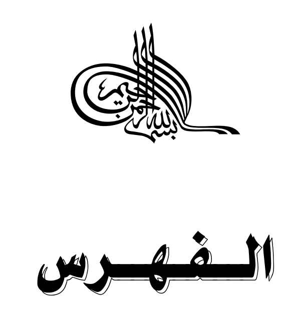
By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad *(Peace and blessings of Allah be upon him)*, **the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā‘at**

First Published in UK in 2005

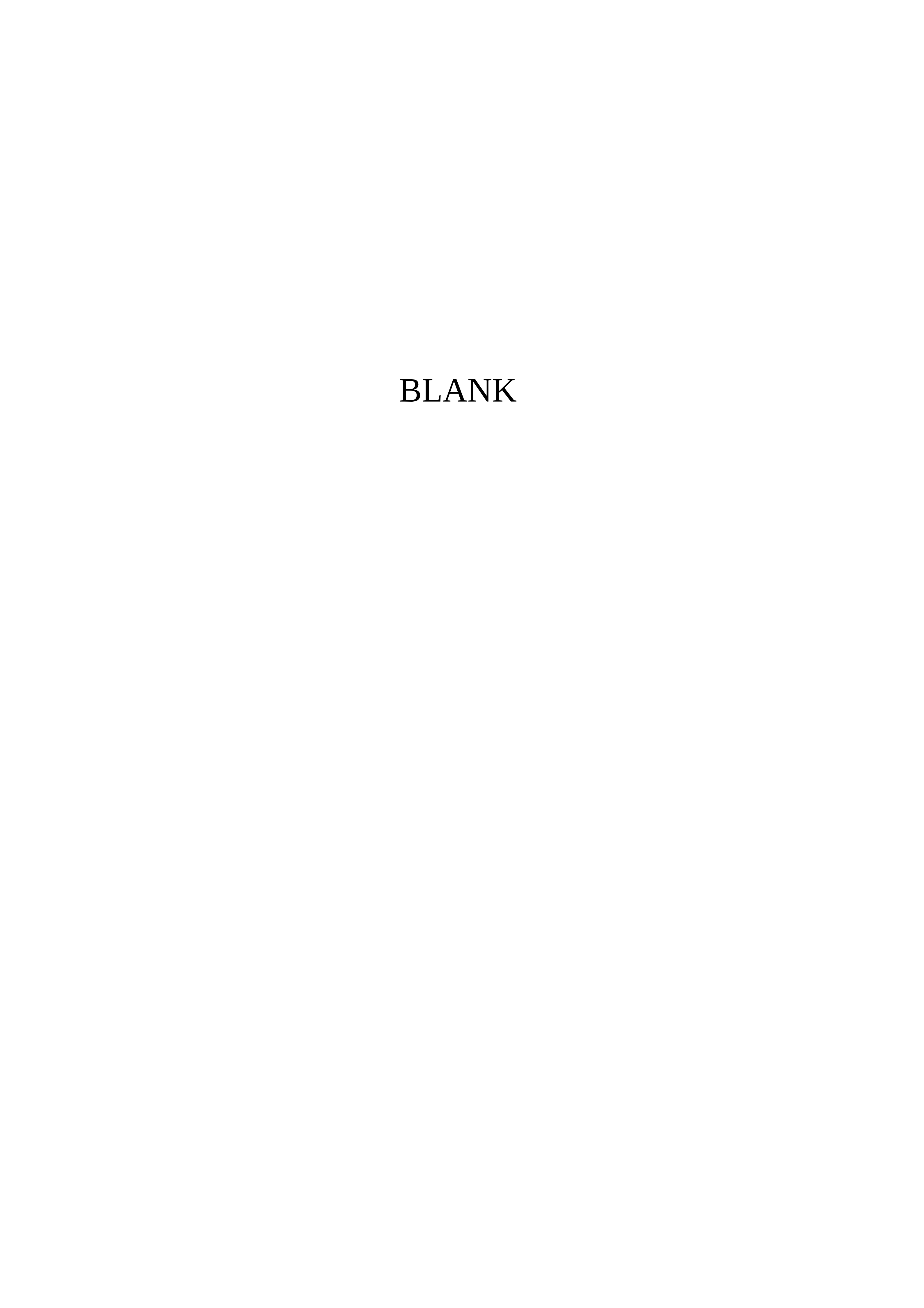
Published by:
Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Islamabad

ISBN: 1 85372 834 9



الـفـهــرس


BLANK

كلمة الناشر

هذا الكتاب

هذا الكتاب رسالة عربية ألحقها سيدنا أحمد ﷺ بكتابه "حقيقة الوحي" الذي ألّفه باللغة الأردية، ودلّل فيه على ظاهرة الوحي الإلهي وحقانيته، وبيّن الفرقَ بين وحي الرحمن ووحي الشيطان، وذكر فيه بإسهاب ما أنعم الله ﷻ عليه من إلهام ووحي ورؤى وكشوف. وقد طُبع هذا الكتاب لأول مرة في عام ١٣٢٥من الهجرة النبوية الموافق عام ١٩٠٧م.

يشتمل كتاب "الاستفتاء" على بابَيْن وخاتمة وقصيدة. ويحوي الباب الأول استفتاءً موجَّهًا إلى العلماء والمشايخ، حيث يقول ﷺ: يا علماءَ الإسلام وفقهاءَ ملةِ خيرِ الأنام، ما رأيُكم في رجل ادعى أنه من الله الكريم، وهو يؤمن بكتاب الله ورسوله، وأرى اللهُ له أمورًا خارقة للعادة، وظهر في زمن ضعف الإسلام، حين خرج القساوسة كبطل له سهمان: سهمٌ يجرّحون به ملة الإسلام بالأكاذيب والبهتان، وسهمٌ يُدخلون به الناسَ في دين الصلبان. وما وُجد في أحوال هذا المدعي قبل الدعوى شيء من الكذب والافتراء، وهو يقتدي بالمصطفى ﷺ في كل سنن الهدى. وكان

في أول زمنه مستورًا في زاوية الخمول، فبشره ربه عندئذ أنه اختاره، وأنه سيرفع ذكره، حتى سيفارق الناس أوطانهم من أجله، ويستوطنون قريته بما جذب الله إليه جَنانهم. وسيقوم أناس من كل قوم لعداوته ولإجاحته، ولكن الله سوف يخيب مكائدهم.

وخاطبه الله ﷻ في الإلهام قائلا: "أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي. ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء. لا تصعّر لخلق الله، ولا تسأم من الناس، ووسِّع مكانك."

فأشاع كل هذه الأنباء في كتابه في زمن لم يكن أثر من ظهورها، فتحقق كل ما قال.

ويسأل حضرته عليه السلام العلماء ثانية ويقول: لقد باهله المشايخ المنكرون فأهلكهم الله، وأخزاهم في كل موطن. فما رأيكم، أنصره اللهُ ضد هؤلاء مع افترائه، أم هو من عند الله عزّ وجلّ فعلاً؟!

ثم يستفتيهم مرة ثالثة قائلا: ما رأيكم في هذا المدعي الذي أعطاه الله آيات أخرى كسقوط الشهب الثواقب، وخسوف الشمس والقمر في رمضان، بحسب ما ورد في الحديث والقرآن. ومنها أن الله تعالى أخبره بزلازل عظمى، وتفشِّي وباء الطاعون في البلاد، وبحمايته وأتباعه من هذه الآفات. فحدث كما أخبر، فلم يمت في بيته بمرض الطاعون ولا فأرة فضلا عن الإنسان، بينما عاث الطاعون في بلاده بل في قريته، بل يمينًا ويسارًا من داره، كما لم تُهلك الزلازل أتباعَه.

وأفصح الله كلامه في العربية، مع أنه ليس من العرب، وملأ كلامه بالمعارف القرآنية والأسرار الروحانية. فهل يجزم العقل باجتماع هذه الأمور في كذّاب يتقول على الله تعالى؟

ثم في الباب الثاني يبين حضرته عليه السلام أنه هو المستفتي وهو المدعي؟ فيقول: لا أقول لكم أن تؤمنوا بي بغير سلطان، بل أناديكم أن تقوموا لله مقسطين، وتنظروا إلى ما أنزل الله لي من الآيات، فإن لم تجدوها كما خلت سنة الله في الأولين فرُدُّوني ولا تقبلونِ.

ثم يقول: إني لأَعجب من الذين يقولون نحن المسلمون، ثم ينكرون فيوض هذا الدين. لا يؤمنون بأن يكلّم الله أحدًا بعد سيدنا المصطفى ﷺ! فكأن الله فَقَدَ في هذا الزمن صفةَ الكلام وبقيت له صفة السمع فقط، ولعله يفقد صفة السمع أيضًا بعد هذه الأيام؟ أتظنون أن الإسلام مراد من قصص معدودة، وليست فيه آيات مشهودة؟ أأعرضَ عنا ربنا بعد وفاة سيدنا خير البرية ﷺ؟ ألسنا بخير الأمم في القرآن؟ فأي شيء جعلنا شر الأمم على خلاف الفرقان؟ أيجوّز العقل أن نجاهد حق الجهاد لمعرفة الله ثم لا نوافي دروبَها، ونموت لنسيم الرحمة ثم لا نُرزَق هبوبَها؟ أهذا حد كمال هذه الأمة؟

ثم يبين أن عيسى ابن مريم قد توفي بحسب القرآن والحديث، كما أجمع على موته الصحابة الكرام. ويقول حضرته: ألا تفكّرون

أن عقيدة حياة المسيح لم تنفع المسلمين مثقال ذرة، بل أيدت النصارى، إذ بها أدخلوا أفواجا من المسلمين في أهل الصلبان. تدفنون خير الرسل في التراب، وتُصعدون عيسى إلى السماوات، فتلك إذًا قسمة ضيزى!!

ثم يبين حضرته أن كل ما أُعطي من آيات فإنها ليست له، وإنما هي لتصديق الإسلام، وما هو إلا أحد خُدام الإسلام، فلماذا يرفضه المنكرون؟

ثم يفصّل حضرته في آخر هذا الباب أحداثَ المباهلة التي جرت بينه وبين قسيس كبير من أمريكا اسمه "دوئي"، فيقول: لقد كان هذا القسيس كبيرَ الشهرة، صاحب مدينة وجريدة وأتباع يبلغ عددهم عشرات الآلاف. وكان يدّعي النبوة مع إقراره بألوهية ابن مريم، وكان يسب ويشتم رسولنا الكريم ﷺ، ويقول: إني سأهلك المسلمين.

فدعوتُه للمباهلة، وكتبت إليه: إن عيسى عليه السلام ليس إلا نبيًا، وأنه قد مات، وأن مذهب التثليث باطل، وما أنت إلا مفترٍ. ووالله إني أنا المسيح الموعود. فلنجعلْ لعنة الله على الكاذب منا.

ثم أشعتُ ما كتبت إليه في الجرائد الأمريكية التي كانت حريصة على رؤية مآل المصارعة. فردّ على دعوتي في جريدته قائلا: ما أرى هذا الرجل إلا كبعوضة بل دونها، وما دعتني البعوضة، بل دعت منونَها.

فانقلبت بعد ذلك أيامه، فأخذه بعض الورثاء كالغرماء، ورأى خزيًا كثيرًا من الزوجة والأبناء، حتى إن أباه أشاع في الجرائد أنه ليس من نطفته بل هو ولد الزنا. وانفضّ من حوله الأتباع، وعاد كالبائس الفقير، والذليل الحقير. ثم أصيب بالفالج أي الشلل، فكان يُنقل على الرقاب، ويأخذ الحقنة للتبرز. ثم لحق به الجنون، حتى أدركه الموت في مارس ١٩٠٧.

ويقول حضرته عليه السلام إن الله تعالى قد أخبره بالإلهام سلفًا بموت ذلك اللعين.

ثم يسرد في خاتمة الكتاب نبذة عن حالاته وحالات آبائه، ويسجل بعض ما أوحى الله إليه مثل: "يا أحمد، بارك الله فيك. الرحمن علّم القرآن، لتنذر قومًا ما أُنذرَ آباؤهم ولتستبينَ سبيلُ المجرمين. كل بركة من محمد ﷺ، فتبارك من علّم وتعلّم. الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم. أليس الله بكاف عبده."

وفي الختام قصيدة له عليه السلام في حمد الله تعالى ومدح المصطفى ﷺ مَطلعها:

علمي من الرحمن ذي الآلاءِ بالله حُزتُ الفضلَ لا بدهاءِ

هذه الطبعة

لقد ألّف سيدنا أحمد عليه السلام زهاء خمسة وعشرين كتابًا باللغة العربية، ولكنها لم تصدر على شكل كُتب منفصلة منذ فترة

طويلة، وإنما نُشرت ضمنَ الطبعة المعروفة بـــ "الخزائن الروحانية" التي تشتمل على كل ما كتبه الطَّيْلا بالعربية والفارسية والأردية. فأمر إمامنا الراحل سيدنا مرزا طاهر أحمد -رحمه الله- الخليفةُ الرابع لسيدنا أحمد الطَّيْلا بإخراج الكتب العربية منها بصورة منفصلة.

ثمة أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد الطَّيْلا، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- هناك جمل وعبارات قد كبّرناها أو وضعنا تحتها الخط، وذلك بحسب ما هو في الطبعة الأصلية.

٣- وثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد الطَّيْلا بنفسه، وكَتَبَ - عمومًا - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٤- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية *بالخط المائل*.

٥- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٦- كما أن ترقيم الآيات القرآنية يبدأ بالبسملة من كل سورة.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب التراث. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، كقوله عليه السلام:

- وليست الحكومة تارك المجرمين (ص ٤٨).. لأن المراد الحاكم.
- ينظرون إلى سلسلة الله مغاضِبًا (ص ٢٤).. أي مغاضبين.

ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:

- ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ (البقرة: ٦٦)
- ﴿فظلتْ أعناقهم لها خاضعين﴾ (الشعراء: ٥)
- ﴿ثم يُخرجكم طفلاً﴾ (غافر: ٦٨).. أي أطفالاً.

ونقل السيوطي عن "الخصائص" لابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجمع، والجماعةِ في الواحد... فمن تذكير المؤنث قوله تعالى: ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا

ربي﴾.. أي هذا الشخص *(أو الجرم)*." (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، ج٢ ص ١٠٢ الطبعة الأولى ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت)

ثانيًا: ورود المعدود على عكس ما هو مألوف كقوله عليه السلام:

– إنا أَمَتْنا أربعة عشر دوابًّا (ص ١١٣).

والشاهد على هذا في القرآن الكريم:

– ﴿وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا﴾ (الأعراف: ١٦١)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذه الأفاضل: مصطفى ثابت، موسى أسعد عودة، عبد الله أسعد عودة، طه القزق، تميم أبو دقة، المرحوم موسى سرور نايف، سيد عبد الحي شاه، المرحوم عطاء الله كليم، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، مبشر أحمد كاهلون، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

وأخيرًا، نبتهل إلى الله – جل شأنه – أن يجعل هذا السِّفْر المبارك سببا لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناشر

بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرَّحيمِ

نحمد الله العليّ العظيم، ونصلّي على رسوله الكريم

رَبَّنَا إِنَّنَا جِئْنَاكَ مَظْلُومين فافرُقْ بَينَنَا وبَينَ القَومِ الظَّالِمِينَ، آمين

أمّا بعد.. فاعلموا - رحمكم الله - أنّي قسّمت هذه الرسَالة على قِسمَين، وبوّبتها على بابَين؛ والغرض منه إتمام الحجّة على أهل العناد، وكتبتها بماء الدموع ونار الفؤاد، واختتمتها على خاتمةٍ متوكّلا على ربّ العباد* !

الباب الأول

في الاستفتاء

يا علماء الإسلام، وفقهاءَ ملّة خير الأنام، أفتُوني في رجلٍ ادّعى أنّه من الله الكريم، وهو يُؤمن بكتاب الله ورسوله الرؤوف الرحيم. وأرى الله له أمورًا خارقةً للعادة، وأظهر الآياتِ المُنيرةَ وعجائب النُصرة. وظهر في زمنٍ هو من الدّين كالعُريان، وعلى صدر الإسلام كالسِّنانِ، وعلماءُ الوقت كرجُلٍ رِجْــلاه تتخاذلان، وخرج القساقسة فيه كبطل له سهْمانِ: سهم يذلّقونه

* قد ألحقْنا هذه الرسالة بكتابنا "حقيقة الوحي"، وجعلْناها لـه ضميمةً، وأشعْنا بعضها على حدة.

ليجرّحُوا به ملّة الإسلام بالأكاذيب وأنواع البهتان، وآخر يفوّقونه لِيُدخلوا به الناس في أهل الصُّلبان. وتجدونهم كذئب عاث، أو لِصٍّ ينهب الأثاث. وليس عندهم إلا النقول، وما لا تقبله العقول. وليس عماد دينهم إلا خشب الكفّارة، وقد فُتح به كلّ باب للنفس الأمّارة. فهل أوحش وأفْحش من هذه العقيدة، وأبْعد من قبول الطبائع السعيدة؟ ثم يسبّون دين الله وخيرَ الأنام، وهذا أشدّ المصائب على الإسلام. والدّين الذي قائم على خشبٍ لا حاجة إلى تحقيقه، ولا يهدي العقل إلى تصديقه، بل تعافه فطرة طيّبة، وتفرّ من هذا الحديث، وتُطلّق بطلاق ثلاث مذهبَ التثليث. وأما صعود عيسى ونزوله فهو أمر يكذّبه العقلُ وكتاب الله القرآن، وما هو إلا كتَعِلَّةٍ تُنام بها الصبيان، أو كالتماثيل التي تلعب بها الجواري والغلمان. ما قام عليه دليل وما شهد عليه برهان.

فخلاصة الكلام أنّ هذا المدّعي ظهر في هذه الأيام، عند كثرة الفتن وكثرة البدعات وضعف الإسلام. وما وُجد في أحواله قبل هذا الدعوى شيء من عادة الكذب والافتراء، لا في زمن الشيب ولا في زمن الفتاء. وما وُجد في عمله شيءٌ يخالف سنّة خير الأنبياء، بل يؤمن بكلّ ما جاء به الرسول الكريم من الأحكام والأَنباء، وبكلّ ما ثبت من نبيّنا سيّد الأتقياء. وإنه من أُسَاة الهوى، وقد أسا جُرْحَ الذنوب وداوى، وجاء ليُؤسّي بين الورى، ويوصل بالأُمّة الآخرة أممًا أولى. ولو بغيتَ له الأُسَى، لوجدت فيه

أُسوة المصطفى، يقتدي به في كلّ سُنن الهُدى.

وسعَى العدا كلّ السَّعْي وسقطوا عليه كالبلاء، وتقصّوا أمره بكل الاستقصاء، ليجدوا فيه نقصًا أو يَعْثِرُوا على قولٍ منه فيه مخالفة الملّة الغرّاء، وخاضوا في سوانحه من مقتضى البغض والشحناء. فما وجدوا مع شدّة عداوتهم سبيلاً إلى القدْح والزرْي والازدراء، ولا طريق عمل يُحْمَل على الأغراض والأهواء.

وكان في أوّل زمنه مستورًا في زاوية الخمول، لا يُعرف ولا يُذكر، ولا يُرجى منه ولا يحذر، ويُنْكر عليه ولا يوقَّر، ولا يُعَدّ في أشياءٍ يُحدَّث بها بين العوام والكُبراءِ، بل يُظَنّ أنه ليس بشيءٍ، ويُعرَض عن ذكره في مجالس العقلاء. وبشّره ربّه في ذلك الزمن بأنّه معه وأنه اختاره، وأنه أدخله في الأحبّاء. وأنّه سيرفع ذكره، ويُعْلي شأنه، ويعظّم سُلطانه، فيُعرَف بين الناس، ويُذكَر في مشارق الأرض ومغاربها بالذكر الجميل والثناء. وتُشاع عظمته في الأرض بأمر ربّ السماء، ويُعان من حضرة الكبرياء. وتأتيه من كلّ فجٍّ عميق أَفواجٌ بعد أفواجٍ، كبحرٍ موّاجٍ، حتى يكاد أن يسأم من كثرتهم، ويضيق صدره من رؤيتهم، ويروعه ما يروع العايلَ المعيّل عند كثرة العيال وحمل الأَعباء وقلّة المال. ويفارق الناسُ أوطانهم، ويُوطِنون قريته بما جذب الله إليه جَنانهم، فيتركون للقائه ملاقاة الرفقاء، وتتّقد لصُحبته الأكبادُ، ويرقّ برؤيته الفؤاد، وتحفِد في أثره العباد، بكمال الصدق والإخلاص والصفاء، ويؤثرون له

أنواع البلاء. ومنهم يكون قومٌ يقال لهم أصحاب الصفّة، يَسْكُنون في بعض حجراته كالفقراء. تذوب أهواؤهم، وتجري قلوبهم كالماء. ترى أعينهم تفيض من الدمع بما يعرفون الحقّ وبما يرون أنوار السماء. يقولون ربّنا إنّنا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان، ويبكون لذاذة ووجْدًا شديدًا كالعُرفاء. وبما أوجدهم الله مطلوبهم يشكرون وتخرّ أرواحهم على حضرة الكبرياء.

وكذلك تأتي لهذا العبد من كلّ طرفٍ تحائفُ وهدايا وأموال وأنواع الأشياء. ويعطيه ربّه بركةً عظيمةً، ونفسًا قاهرة، وجذبًا شديدًا، كما قُدّر له من الابتداء. فتحفد الناس إلى بابه، والملوك يتبرّكون بثيابه، ويرجع إلى حضرته طوائف الملوك والأمراء.

وتقوم أناسٌ من كل قومٍ لعداوته، ويجاهدون من كلّ الجهة لإجاحته، ويمكرون كلّ المكر ليطفئوا نوره، وليكتموا ظهوره، وليحقّروا شأنه، وليزيّفوا برهانه، أو يقتلوه، أو يصلّبوه، أو ينفوه من الأرض، أو يجعلوه كبني الغَبراء، أو يجرّوه إلى الحكّام بوَشْي الكلام وبتلوينه وتزيينه ببعض التّهم والافتراء، أو يؤذوه بإيذاءٍ هو فوق كلّ نوع الإيذاء. فيعصمه الله من مكائدهم بفضلٍ من السماء، ويُقلّبُ مكرهم عليهم ويُخْزِيهم، فيَرْجعون خائبين خاسرين، كأنّهم ليسوا من الأحياء. ويُتمّ الله عليه ما وعد من النعم والآلاء. ولن يُخلف الله وَعْدَه لعبده ولا وعيده للأعداء. ذلك من أنباء الله التي أوحى إلى هذا العبد قبل وقوعها، وهي

كُتبتْ وطُبعتْ وأشيعتْ في البلاد وفي الأداني والأمراء، وأرسلتْ إلى أقوام وديارٍ، وجُعل كلّ قوم عليها كالشهداء. وإنها أشيعتْ في زمن مضى عليه ستّ وعشرون سنةً إلى زمننا هذا، ولم يكنْ في ذلك الوقت أثر من نتائجها وما عثر على وقوعها أحد من أهل الآراء، بل كان كلّ رجل يستبعد وقوعها، ويضحك عليها، ويَحسبها افتراءً، أو من قبيل حديث النفس بمقتضى الأهواء، أو من وساوس الشيطان لا من حضرة الكبرياء. وإن هذه الأنباء مرقومة في **البراهين الأَحْمديّة**، ومندرجة في مواضعها المتفرّقة، التي هي من تصانيف هذا العبد في اللسان الهندية، ومَن شكّ فيها فليرجعْ إلى ذلك الكتاب، وليقرأْها بصحّة النيّة، وليتّق الله، وليفكّرْ في عظمة هذه الأخبار، وجلالة شأنها وعلُوّ برهانها، وبُعدها عن هذا الزمان، وبريقها ولمعانها. وهل لأحد قوّة أن ينبئ كمثلها من دون إعلام عالِمِ الأشياء؟ وإنها أنباء كثيرة، منها ذكرْنا ومنها لم نذكر، وكفى هذا القدر للأتقياء، الذين يخافون الله، وإذا وجدوا حقًّا وجلتْ قلوبهم ولا يمرّون عليه كالأشقياء، ويقولون ربّنا آمنّا فاكتبْنا في عبادك المؤمنين وفي الشهداء.

ثم اعلموا، رحمكم الله، أن زمن هذه الأنباء كان زمنًا لم يكنْ فيه أثر من ظهورها، ولا جلوة من نورها، ولا باب إلى مستورها، بل كان الأمر أمرًا مخفيّا من الأعين والآراء، وكان هذا العبد مستورًا في زاوية الاختفاء، لا يعرفه أحد إلا قليل من الذين كانوا

يعرفون أباه في الابتداء. وإن شئتم فاسألوا أهل هذه القرية التي تُسمَّى "قاديان"، واسألوا مَن حولها مِن قرى المسلمين والمشركين والأعداء. وفي ذلك الوقت خاطبه الله تعالى وقال: أنت مني بمنــزلة توحيدي وتفريدي. فحان أن تُعان وتُعرَف بين الناس. يأتون مِن كلّ فجٍّ عميق. يأتيك مِن كلّ فجٍّ عميق. ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء. إذا جاء نصر الله وانتهى أمر الزمان إلينا. أليس هذا بالحقّ. ولا تصعِّرْ لخلق الله، ولا تسأمْ من الناس. ووَسِّعْ مكانك للواردين من الأحبّاء. هذه أنباء من الله مضى عليها ستّ وعشرون سنة إلى هذا الوقت من وقت الإيحاء. وإنّ في ذلك لآية للعقلاء.

ثم بعد ذلك أيّد الله هذا العبد كما كان وعده بأنواع الآلاء وألوان النعماء. فرجع إليه فوج بعد فوج من الطلباء، بأموال وتحايف وما يسرُّ من الأشياء، حتى ضاق عليهم المكان وكاد أن يسأم من كثرة اللقاء. هناك تمّ ما قال الله صدقا وحقّا، ومَن أوفى بوعده من حضرة الكِبرياء؟ وما استطاع عدوٌّ أن يمنع ما أراد الله من النصرة وإنــزال الآلاء، حتى حلّ القدر الذي منعوه، وأُنجز الوعد الذي كذّبوه، وأُعطي ذلك العبد خطاب الخلافة من السماء. إنّ في ذلك لآية لمن طلب الحقّ وجاء بترك البغض والشحناء.

فبيِّنوا توجَروا أيّها المتّقون: أهذا فعل الله أو تقوُّل الإنسان الذي

اجترأ على جناية الافتراء ليُحسَب من الذين يُرسَلون؟ وهل للمتجنّين أمان من تعذيب الله في هذه الدنيا أو هم يعذَّبون؟

ثم أستفتيكم مرّةً ثانية أيها المتفقّهون، فاتّقوا الله وأفتوني كرجالٍ يخافون الله ولا يظلمون. يا فتيان.. رجل قال إني من الله، ثم باهله المنكرون، لعلهم يغلبون. فأهلكهم الله وأخزى وأبطل ما كانوا يصنعون. وإن شئتم فاقْرؤوا في هذا الكتاب قصصهم، وما صنع الله بهم، أليس ذلك حجّة على قومٍ ينكرون؟* والله نصره في كلّ موطن، وجعله غالبًا على أعدائه، وأنبأ به قبل وقوعه، أليس ذلك آية على صدقه أيها العاقلون؟ أتجوّز عقولكم أن القدّوس الذي لا يرضى إلا بالصالحات، ولا يقرّب أحدًا إلا بالحسنات، هو يحب رجلاً فاسقًا مفتريًا، ويمهّله إلى عمرٍ أزْيَدَ من عمر نبيّنا ﷺ، ويعادي من عاداه ويوالي من والاه، وينـــزل له آيات، ويكرمه بتأييداتٍ، وينصره بمعجزات، ويخصّه ببركاتٍ، ويظفره في كل

* الذين باهلوا وماتوا بعد المباهلة، منهم الرجل المسمّى بالمولوي غلام دستكير القصوري، ومنهم الرجل المسمّى بالمولوي جراغ الدين الجموني، ومنهم الرجل المسمّى بالمولوي عبد الرحمن محيي الدين اللكوكي، ومنهم الرجل المسمّى بالمولوي إسماعيل العليكرهي، ومنهم الرجل المسمّى بفقير مرزا الدواليالي، ومنهم الرجل المسمّى بليكرام الفشاوري، وكذلك رجال آخرون. أكثرهم ماتوا، وبعضهم رُدّوا إلى حياة الخزي وقطْع النسل ومعيشة ضنْك، وقد فصّلْنا ذكرهم في كتابنا "حقيقة الوحي"، وهذا خلاصة الذكر لقوم يطلبون. ومنهم رجل مات في هذا الشهر.. أعني ذا القعدة، وكان اسمه "سعد الله"، ولكن كان بعيدا من السعادة. وكنت أخبرت بأنه يموت قبل موتي بالخزي والحرمان، ويقطع الله نسله، فكذلك مات بالخيبة والخسران. هذا جزاء الذين يحاربون الله ويكفرون برسله بالظلم والعدوان. منه.

موطن على أعدائه، ويعصمه من مواضع المضرّات، ومواقع المعرّات، ويُهلك ويخزي من باهله بسخط من عنده، ويتجالد له، فيقتل عدوّه بسيف من السماوات، مع أنه يعلم أنه يفتري على الله، ثم مع الافتراء يعرض على الناس تلك المفتريات، ليضلّ الذين لا يعلمون. فما رأيكم في هذا الرجل.. أنصره الله مع افترائه، أو هو من عند الله ومن الذين يصدقون؟ وهل ينجو المتحلّمون الذين يقولون أُوحي إلينا وما أوحي إليهم شيء، وإنْ هم إلا يكذبون؟

ثم أستفتيكم مرّةً ثالثة أيها العالمون.. إن هذا الرجل الذي سمعتم ذكره وذكر ما منّ الله عليه.. قد أعطاه الله آيات أُخرى دون ذلك لعلّ الناس يعرفون. **منها** أن الشّهب الثواقب انقضّتْ له مرّتان، وشهد على صدقه القمران، إذا انخسفا في رمضان، وقد أخبر به القرآن، إذ ذكرهما في علامات آخر الزمان، ثم الحديثُ فصّل ما كان مجملاً في الفرقان، وقد أنبأ الله بهما هذا العبد كما هي مسطورة في "البراهين" قبل ظهورها يا فتيان، إنّ في ذلك لآية لمن كانت له عينان. فبيِّنوا توجَروا.. أهذا فعل الله أو تقوُّل الإنسان؟

ومنها أن الله أخبره بزلازل عظمى في الآفاق وفي هذه الديار، قبل ظهورها وقبل الآثار. فسمعتم ما وقع في هذا الملْك وفي الأقطار، وتعلمون كيف نزلتْ غياهب هذه الحوادث على نوع الإنسان، حتى إن الشمس طلعتْ على العمران، وغربتْ وهي

خاوية على عروشها، وسقطت السقوف على السُّكّان، ومُلئت البيوت من الموتى والأشجان. وانتقل المجالس من القصور إلى القبور، ومن المحافل إلى الطبق السافل، وظهر أنّ هذه الحياة ليست إلا كالزُّور، أو كحباب البحور. والذين بقوا منهم كوَى الجزع قلوبَهم، وشقّت الفجيعة جيوبهم، وانهدمتْ مقاصرهم التي كانوا يتنافسون في نـــزولها، ويتغايرون في حلولها. وما انقطعتْ سلسلة الزلازل وما ختمتْ، بل التي يُنتظر وقوعها هي أشدّ مـــمّا وقعتْ. إنّ في ذلك لتبصرة لقومٍ يتّقون. فبيّنوا تُوجروا أيّها المقسطون.. أهذه آيات الله أو من أمور تنحتها المفتعلون؟ إنما المؤمنون رجالٌ إذا نطقوا صدقوا، وإذا حُكِّموا عدلوا ولا يظلمون. والذين يخافون الخلق كخوف الله ويُخفون الحقّ كأنّ الحق تجدَع آنافَهم، أو هم يُسجنون.. أولئك إناث في حلل الرجال، وكَفَرة في حلل الذين هم يؤمنون.

ومنها أن الله أخبر هذا العبد بظهور **الطاعون** في هذه الديار، بل في جميع الأعطاف والأقطار، وقال: الأمراض تشاع والنفوس تضاع، فرأيتم افتراس الطاعون كما تفترس السّباع، وعاينتم كيف صال الطاعون على هذه البلاد، وشاهدتم كيف كثر المنايا في العباد، وإلى هذا الوقت يصول كما يصول الوحوش، ويجول كلّ يوم وينوش، وفي كلّ سنةٍ يرى صورته أوحشَ من سنة أولى، ثم وقعتْ على آثاره الزلازل العُظمى. وتلك الأنباء كلّها أُشيعتْ قبل

ظهورها إلى البلاد القصوى. إنّ في ذلك لآية لمن يرى. وأخبره الله بزلزلة أُخرى وهي كالقيامة الكُبرى، فلا نعلم ما يظهر الله بعدها، إن في ذلك لمقامَ خوفٍ لأولي النُّهى. فبيّنوا توجروا يا فتيان.. أهذا فعلُ الله أو تقوّل الإنسان؟

وإنّ الله قدّر الـــمنايا والعطايا لهذا الزمان. فالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك سيُعطَون من عطايا الرحمن، والذين ما تابوا وما استغفروا وما أدّاهم إلى هذا العبد تقوى القلوب وخِيفةُ ما نزل على البلدان، وعلوا علوّا كبيرا، وتمايلوا على دنياهم كالسّكْران، أولئك يذوقون المنايا الكثيرة بما كانوا يعتدون في العصيان. تسقط السماء على رؤوسهم، وتنشقّ الأرض تحت أقدامهم، وترى كلّ نفس جزاءها، هناك يتمّ ما وعد الله الدَّيّان.

وآية له أن الله بشّره بأن الطاعون لا يدخل داره، وأن الزلازل لا تهلكه وأنصاره، ويدفع الله عن بيته شرّهما، ولا يخرج سهمهما عن الكنانة ولا يرمي، ولا يريش ولا يبري، وكذلك وقع بفضل الله ربّ العالمين. وإنّ هذا العبد ومن معه يعيشون برحمته آمنين، لا يسمعون حسيسه وحُفظوا من فزع وأنين. وترون الطاعون كيف يعيث في ديارنا هذه والأقطار والآفاق، ويطوف في السّكك والأسواق، وكذلك الزلازل لا تستأذن أهلَ دار، ولا تستفتي عند إهلاكٍ وإضرارٍ، وصُبّتْ مصائبها على ديار. وقد هلكتْ نفوس كثيرةً بالطاعون في قرية هذا العبد من يمين الدار ويسارها، وصار

طُعْمتَه كثير من الناس من قربها وجوارها، وما ماتتْ في داره فأرة فضلا عن الإنسان. إن في ذلك لآية لمن كانت له عينان. ووالله إن تعدّوا آيات نزلتْ لهذا العبد لن تستطيعوا أن تُحصُوها، وقد صُفّف له ألوان نعم ما رآها الخلق وما ذاقوها. إنّ في ذلك لسلطان واضح لقوم يتفكّرون، الذين لا يسارعون للتكذيب ويتدبّرون.

وآية له أن الله يسمع دعاءه ولا يضيع بُكاءه، وقد كتبْنا في كتابنا "حقيقة الوحي" كثيرا من نموذج استجابة الدعوات، وما فضّل الله عليه عند إقباله على ربّه بالتضرّعات، فلا حاجة أن نعيدها، فليرجعْ إليها من كان أسيرا في الشبهات.

وآية له أن الله أفصحَ كلماتِه من لدنه في العربية، مع التزام الحقّ والحكمة، وأنه ليس من العربِ، وما كان عارفًا بلسانهم كما هو حقّ المعرفة، وما تصفّح دواوين الكتب الأدبية، وليس من الذين أُرضعوا ثدْيَ الفصاحة، ومع ذلك ما أمكن لبشر أن يبارزه في هذه المَلْحمة، بل ما قربوه من خوف الذلة. وهذه شربةٌ ما تحسّاها أحدٌ من الناس، بل سقاها ربّه فشرب من أيدي ربّ الأناس. فأين تذهبون ولا تفكّرون ولا تتّقون؟

أتقولون شاعرٌ؟ وإن الشعراء لا ينطقون إلا بلغوٍ، وهم في كلّ وادٍ يهيمون. أرأيتم شاعرًا لا يترك الحقّ والحقايق، ولا يقول إلا المعارف والدقايق، ولا ينطق إلا بحكمة، ولا يتكلّم إلا بنكاتٍ

مملوّةٍ من معرفة؟ بل الشعراء يتفوّهون كالذين يهذرون، أو كالمجانين الذين يهجُرون. وتجدون هذا الكلام مملوًّا من النكات الروحانية، والمعارف الربّانية، مع أنّه ألطف صنعًا، وأرقّ نسجًا، وأشرف لفظًا، ولا تجدون فيه شيئًا هو خارج من المقصد. ما لكم لا تفكّرون؟ ووالله إنه ظِلٌّ فصاحة القرآن، ليكون آيةً لقوم يتدبّرون.

أتقولون سارق؟ فأْتوا بصفحات مسروقة كمثلها في التزام الحقّ والحكمة إن كنتم تصدقون. وهل من أديبٍ فيكم يأتي بمثل ما أتاها؟ وإن لم تفعلوا.. ولن تفعلوا.. فاعلموا أنها آية كمثل آيات أُخرى لقوم ينظرون.

فخلاصة الكلام.. أن الله أنـــزل لهذا العبد كلّ آية، ونصره بكلّ نصرة، وجمع فيه كلّ ما هو من علامات الصادقين، وأمارات المرسلين. وأدّبه فأحسن تأديبه بمكارم الأخلاق وتوفيق الصالحات، ووضَعه تحت سنّته التي جرتْ لجميع الأنبياء، فمن صال عليه فقد صال على جميعهم وعلى كلّ من جاء من حضرة الكبرياء. ثم مع ذلك وهب له الله وثوقًا بعصْمته لدى الأهوال، واستقامةً وتثبّتًا في جميع الأحوال، ونصَره عند مكر الماكرين، ودفَع عنه شرَّ أهل الشرّ، وضرَّ أهل الضرّ، وكرَّ أهل الكرّ، ورزقه الفرج بعد الشدّة، والظلّ بعد الحرّ.

ففكِّروا يا معشر المتقين.. هل يجوّز العقل أن يُنعم الربّ

القدوس بهذه الإنعامات، ويؤيّد بهذه التأييدات، رجلاً يعلم أنه من المفترين؟ وهل يوجد فيه نصّ أو قول ربّ العالمين؟ وهل تجدون نظيره في العالمين؟ وهل يجزم العقل باجتماع هذه الأمور كلّها في كذّاب يتقوّل على الله في الصباح والمساء، ولا يتوب من افترائه بترك الحياء؟ ثم يمهله الله ستًّا وعشرين سنة، ويُظهره على غيبه، وينصره من كلّ جهة، وفي كلّ مباهلة على الأعداء؟ كلا.. بل هي كلمة لا يؤمن قائلها بأحكم الحاكمين. أَلا إنّ لعنة الله على قوم يفترون على الله، وعلى الذين يكذّبون رسل الله، وقد رأوا آيات صدقهم، ثم كفروا بما رأوا وهم يعلمون. أَلا يرون أنّ الكاذب لا يُنصَر كالصادق، ولو نُصر لاشتبه الأمر واختلط الحقّ بالباطل، ولا يبقى الفرق بين الذين يوحى إليهم من الله وبين الذين هم يفترون. أَلا لعنة الله على من افترى على الله أو كذّب الصادقين. وكلّ من كذّب الصادق أو افترى جمَعهم الله في نارٍ أعدّتْ لهم وليسوا منها بخارجين. ﴿قال: كم لبثْتم في الأرض عددَ سنين * قالوا لبِثْنا يومًا أو بعض يوم فسْئَلِ العادّين * قال إنْ لبثتم إلا قليلاً لو أنّكم كنتم تعلمون﴾.[1] وقال المكذّبون: ﴿ما لنا لا نرى رجالا كُنّا نعُدّهم من الأشرار﴾[2]، ونعدّهم من المفترين. فيومئذ يخبرهم الله بأنهم في الجنّة وأنّكم في السعير خالدين. هناك يصدّقون رُسُلَ الله تحت أنياب جهنّم، فيا حسرةً على المكذّبين!

---

[1] *سورة المؤمنون: ١١٣ - ١١٥* [2] *سورة ص: ٦٣*

وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب الله يفتَحْ بيننا وبينكم، قالوا بل نتّبع كبراءنا الأوّلين. وتركوا صحف الله وراء ظهورهم، وتراهم على غيرها عاكفين. يفرّون من الذي أُرسل إليهم، وهو الحَكَم من الله، والله يشهد على صدقه وهو خير الشاهدين. وقد جاء على **رأس المائة**، وأنـــزل الله له آياتٍ تشفي العليل، وتقصر القال والقيل. ولا تنفع الآياتُ قومًا معتدين.

وإنه جاء في وقت الضرورة، وعند مصيبةٍ صُبّتْ على الإسلام من أيدي الكفرة، وعند الكسوفَين الموعودين في رمضان، يا أهل الفطنة. ودعا إلى الحق على وجه البصيرة، وأُيّد بكلّ ما يؤيَّد به أهل الاجتباء والخُلّة. واقتضى الزمان أن يجيء، ويبكّت الكفارَ، ويهدم ما عمروه، فهو يدعو الزمان والزمانُ يدعوه. ثم الذين اعتدَوا يمرّون منكرين، ويشحّذون إلى تحقيره الحرصَ، وينظرون إليه مستهزئين. هو **المسيح الموعود**، وهو كاسر الصليب ببيّناتٍ من الهُدى، كما كان الصليب كاسِرَ مسيحٍ خلا. فالآن وقتُ الظهيرة لأشعّة الإسلام، وأتى المسيح الموعود مُهجرًا بأمر الله العلام، ليظهر الله ضياءه التامّ على الأنام بعد الظلام. وقد ظهر صدقه كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج. وكانت هذه الخُطّة مقدّرًا له في آخر الزمان من الله الرحمن، فظهر كما قدّر ذو الامتنان. وإنه نظر إلى البلاد الهنديّة فوجدها مستحقّةً لمقرّ هذه

الخلافة، لأنها كانت مَهْبَطَ الآدم[1] الأوّل في بدْء الخليقة، فبعث الله آدمَ آخرِ الزمان في تلك الأرض إظهارًا للمناسبة، ليوصل الآخرَ بالأوّل ويُتمّ دائرة الدعوة كما هو كان مقتضى الحقّ والحكمة. فالآن استدار الزمان على هيئته كما أشار إليه خير البريّة، ووصلتْ نقطته الأُخرى بنقطته الأولى في هذه الأرض المباركة، وطلعت الشمس من المشرق وكذلك كان مكتوبًا في صحف الله المقدّسة، ليطمئنّ بها قوم كانوا لا يرقأ دمعُهم عند رؤية الظلمة. فظهرت المسرّة في وجناتهم وهم بها يفرحون. وأماطَ الله شوكَ الشبهات من طريقهم فهم بالسكينة يسلكون. ونُقلوا من الفلاة إلى الجنّات، وخرجوا من الغار المظلم إلى أنوار ربّ الكائنات، فإذا هم يبصرون. وجاءوا من الـموامي إلى حصن الربّ الحامي، وأُشعلتْ في قلوبهم مَصابيح الإيمان، ودخلوا في حمى أَمْنٍ لا تقربه ذراري الشيطان. وأمّا الذين يحبّون الحياة الدنيا فطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، وأردف الليلُ لهم أذنابه، ومدّ الظلام أطنابه، فهم في دُجاههم[2] يعمهون.

ثم أسألكم مرّة أخرى، أيها الفتيان.. لتتمّ الحجّة على من أنكر

---

[1] إنا عرّفْنا آدم ههنا باللام، فإنه استُعمل كالنكرة في هذا المقام، وهو ليس عندي من الألفاظ العبرية. نعم، يمكن توارد اللغتين وهو كثير في تلك اللسان والعربية، وقد بيّنّا في كتابنا "منن الرحمن" أن العربيّة أُمّ الألسنة، وكلّ لِسانٍ خرج منه عند مرور الزمانِ. منه.

[2] *هكذا ورد في الأصل، بينما صُحّح في طبعة "الخزائن الروحانية": "دجاهمْ". (الناشر)*

الحق، أو ينال ثوابه من نطَق بالحق، وحفظ التقوى والإيمان، وما تبع سبل الشيطان.. أفتُوني في رجل قال إني مرسل من الله، وهو كلَّ يوم من الله يعان، ويُكرم ولا يهان. ويكون معه ربّه في جميع مناهجه، ويعجّل له قضاء حوائجه. ويجعل بركةً في رزقه وعمره وجماعته وزمره، ويجعل له نصرة وقبولاً في الخلق بأضعاف ما يظن في بدْء أمره. ويرفع ذكره وينشره إلى أطراف الدنيا وأكنافها، وأقطار الديار وأعطافها، ويُعلي شأنه ويعظّم سلطانه. ويرزقه فتحًا مبينا في كلّ موطن، ويُجري محامده على أَلْسنٍ، وعند الشدائد يستجيب دعاءه، ويخزي أعداءه، ويتمّ عليه نعْماءه، حتى يُحسَد عليها، ويُهلك من باهله، ويُهين من أهانه، وينشر ذكره الجميل، ويعيذه من كلّ خزي، ويبرّئه من كلّ ما قيل، وينصره نصرًا عجيبا في كلّ مقام، ويُطهّره مما قال فيه بعض لئام، ويشهد على صدقه بآيات لا تُعطى إلا للصدّيقين، وتأييدات لا توهب إلا للصادقين. ويجعل بركة في عمره وأنفاسه وكلماته، ودلائله وآياته، فتهوي إليه نفوس كثيرة بملفوظاته وتوجّهاته، ويُحبّبه إلى عباده الصالحين، ويجمع عليه أفواجًا من المخلصين. ويُظهره كزرع أخرج شَطْأَه وليس معه فرد من الناس، ثم يجعله كدوحة عظيمة تأوي إلى ظلّها وثمراها كثير من الأناس. ويحيي به أرضَ القلوب فتُصبح مخضرّة، ويُنضِّر الوجوه ببرهانه فتكون مُحمرّة، ويَفْتح به عيونًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا، وكذلك رأيتم يا فتيان. ورأيتم بعض

أفراد جماعتي كيف أرَوا تثبّتًا فوق العادة حتى إنّ بعضهم قُتلوا ورُجموا لهذه السلسلة، فقضوا نحبهم بالصدق والإيمان، وشربوا شربة الشهادة كصهْباء صافية، وماتوا كالسَّكْران. إن في ذلك لآية لمن كانت له عينان.

ووالله إن هذا العبد قد رأى من عنفوان شبيبته إلى هذا الآن أنواع مواهب الرحمن، وإذا تأخّرتْ عنه نعمة نزلتْ عليه أخرى، وإذا أصابه من عدوّ نوعُ مَعَرّة، فرّجها الله عنه كلّ مرّة. ونال فتحًا في كلّ باس، حتى انتهى إلى وقت أدركه عون الله وحصحص الحقّ ورُفع الالتباس، ورجع إليه أفواج من الناس. والذين قالوا من أين لك ذلك أراهم الله أنه من عنده، والذين أرادوا خزيه أراهم الله خزيًا وتبابًا، ووضع عليهم الفاس، فضُربوا من أيدي الله كلما رفعوا الراس. ذلك لتكون لهم قلوب يعقلون بها، وآذان يسمعون بها، ولعلّهم يستيقظون أو تُحَدّ الحواسّ، وكأيّنْ منهم باهلوا فضُربتْ عليهم الذلّة، أو أُهلكوا أو قُطع نسلهم، ليوقظهم الله من النعاس.

ودافعَ الله عن عبده كلّ ما مكروا، ولو كان مكرهم يزيل الجبال، وأنزل على كلّ مكّار شيئًا من النكال. وكلٌّ من دعا على عبده ردّ عليه دعاءه، ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾*.

---

* *سورة غافر: ٥١*

وأهلك أكابرهم عند المباهلة متعطّفًا على الضَّعَفة، حميمًا بالذين لا يعلمون حقيقة الحال. وكذلك دفع الشرّ وقضى الأمر، فما بقي أحد من الذين كان لهم للمباهلة مجال. وأراهم الله آياتٍ ما أرى آباءهم لتستبين سبل المجرمين، وليفرّق الله بين المهتدي والضالّ. وأبطل الله دعاوى علمهم وورعهم ونسكهم وعبادتهم وتقواهم، وأرى الخلْقَ ما ستروا من الأعمال، ونـــزع ثيابهم عنهم فظهر الهزال. والذين خافوا الله ووجلتْ قلوبهم آمنهم الله فعُصموا من الوبال. وكم من معتدٍ جرَّ هذا العبدَ إلى الحكّام، ليسجن أو يصلب أو ينفى من الأرض، فتعلمون ما صنع الله في ذلك البأس في آخر الأمر والمآل. وكلّ ما ذكرْنا من نعم الله وإحسانه على هذا العبد عند الشدائد أشيع كلّها قبل ظهور تلك النعم بإعلام الله ذي الجلال. فهل تعلمون تحت السماء نظيره في المفترين.. فأْتوا به واتركوا القيل والقال.

وإن الناس قد ظلموه كلّ ظلم، وجاروا عليه، وأحاطوه كالجبال، فأتاه ظفر مبين من عند الله، فجعل العالي سافلا وقلّب عليهم ما رموا، فأصاب القحْفَ والقَذال، وأرى نصره على وجه الكمال. وجاء زَمَعُ الناس لِينصر أعداءه بشدّ الرحال، فهُزموا بأمر الله، وكانت كلمة الله هي العُليا، وضلّ عنهم ما كان عليه الاتكال. ورُزق عبده ظفرًا ونصرًا وفتحًا في سائر الأشياء وسائر الجهات وسائر الأحوال، ورُزق بهاءً وهيبة من ربه الفعّال. ولو

ترى أفواجًا مبايعين نُشروا في الأرض، وما جمع الله لعبده من أفواج يريدون مرضاة الله، وما يأتيه من التحائف والأموال من ديار قريبة وبعيدة، لقلتَ ما هذا إلا فضلٌ من الله وتأييد ونُصرة وإكرام وإجلال.

ثم كفر به الناس مع رؤية هذه التأييدات والآيات، ومكروا كُلّ مكرٍ ليصيبه بعض المكروهات، فتلقّاه الله بسلام وعصمة من كلّ شريرٍ دجّالٍ، ومِن كلّ مَن بارَزَ للحرب والنضال. كلما أرادوا تكدُّرَ عيشه بَدّل الله همومه بالمسرّات، وطابتْ حياته أزْيَدَ من الأوّل بحكم الله واهب العطيّات. وأرادوا أن يُنشَر معايبُه فأُثنيَ عليه بالمحاسن والحسنات، وأرادوا له معيشة ضنْكًا فأتاه من كلّ طرف هدايا وتحائف والأموال التي تساقط عليه كالثمرات. وتمنَّوا أن يروا ذلّته وخزيه، فأكرمه الله إكرامًا عجبًا، وزاد الدرجات.

والعجب كلّ العجب أنّهم يسبّون ويشتمون، وهم من الحقيقة غافلون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنّهم هم السفهاء ولكن لا يشعرون. لا يفكّرون في فعل الله وفيما عامل بعبده. أهذا جزاء الذين هم يفترون؟ إن الذين يفترون لُعنوا في الدنيا والآخرة وهم لا يُنصرون. ما لهم حظّ من الدنيا إلا قليل، ثم يموتون برِجْز من الله تأخذهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ومن يمينهم ويسارهم، ويوفّى لهم ما كانوا يعملون. وما أُرسلَ نبيّ صادق إلا أخزى به الله قومًا لا يؤمنون.

يتربّصون به المنون، ولا يهلك إلا الهالكون. أيهلك الله بحيلهم ودعواهم رجلا يعلم أنه صادق؟ بل هم قوم عمون.

فما تقولون في هذا العبد وفي أعدائه أيّها المنصفون؟ أرأيتم مفتريا على الله إذا باهل مؤمنًا نصره الله على المؤمن، ومزّق من خالفه وباهله؟ بيِّنوا توجَروا أيها العاقلون. أرأيتم عبدًا افترى على الله، ثم كان الله له، وكلما أُعدّ له بلاء فرّج الله عنه، وكلما نُسج له كيد مزّق الله ذلك الكيد، وفتح عليه أبواب الفضل وأبواب الرحمة وأبواب الرزق، وأنعم عليه كما يُنعَم المرسلون؟ وفتح عليه أبواب كلّ خير وبركة، وحفظ عزّته ونفسه من الأعداء، وبرّأه بآياته وشهاداته مما يقولون. وحفظ من العدا، وسطا بكلّ من سطا، ومن عاداه نـــزل لحربه ونصر عبده كما ينصر المخلصون؟

أيها الفتيان..أفتُوني في هذا وأرُوني مفتريا أنعم الله عليه كمثل هذا العبد وتفضّل عليه كمثله، واتّقوا الله الذي إليه ترجعون.

ثم أستفتي منكم أيّها العلماء والفضلاء، فلا تقولوا إلا حقًّا، واتّقوا الله الذي بيده الجزاء. وتعلمون أنّ الصالحين لا يكذبون، ولا يكون من عادهم الإخفاء، ولا يُخفي حقًّا إلا الذي ختم عليه الشقاء.

أيها الفتيان وفقهاء الزمان وعلماء الدهر وفضلاء البُلدان.. أفتوني في رجل قال إنه من الله، وظهرتْ له حماية الله كشمس الضُّحى، وتجلّتْ أنوار صدقه كبدر الدُّجى، **وأرى الله له** آياتٍ

باهرات، وقام لنصرته في كلّ أمرٍ قضى، واستجاب دعواته في الأحباب وفي العدا. **ولا يقول** هذا العبد إلا **ما قال النبيّ** ﷺ، ولا يُخرج قدمًا من الهُدى. ويقولُ إن الله سمّاني نبيًّا بوحيه، وكذلك سُمِّيتُ من قبلُ على لسان رسولنا **المصطفى***. وليس مُراده من النبوة إلا كثرة مكالمة الله وكثرة أنباءٍ من الله وكثرة ما يُوحى. **ويقول**: ما نعني من النبوة ما يُعنَى في الصحف الأولى، بل هي درجة لا تُعطَى إلا من اتّباع نبيّنا خير الورى. وكلّ من حصلتْ له هذه الدرجة.. يكلّم الله ذلك الرجل بكلام أكثر وأَجْلى، والشريعة تبقى بحالها.. لا ينقص منها حُكمٌ ولا تزيد هُدى.

ويقول إني أحد من الأمّة النبوية، ثم مع ذلك سمّاني الله نبيًّا تحت فيض النبوّة **المحمّديّة**، وأَوحَى إليّ ما أوحى. **فليست نبوّتي** إلا نبوّته، وليس في جُبّتي إلا أنواره وأشعّته، ولولاه لما كنت شيئًا يذكر أو يسمَّى. وإن النبيَّ يُعرَف بإفاضته، فكيف نبيّنا الذي هو

* **الحاشية**: وإنْ قال قائل: كيف يكون نبيٌّ من هذه الأمة وقد ختم الله على النبوّة؟ **فالجواب** إنه ﷺ ما سمّى هذا الرجل نبيًّا إلا لإثبات كمال نبوّة سيدنا خير البريّة، فإنّ ثبوت كمال النبي لا يتحقق إلا بثبوت كمال الأُمّة، ومن دون ذلك ادّعاء محض لا دليل عليه عند أهل الفطنة. ولا معنى لختم النبوّة على فردٍ من غير أن تختتم كمالات النبوّة على ذلك الفرد، ومن الكمالات العظمى كمالُ النبي في الإفاضة، وهو لا يثبت من غير نموذجٍ يوجد في الأمّة. ثم مع ذلك ذكرتُ غير مرّةٍ أن الله ما أراد من نبوّتي إلا كثرة المكالمة والمخاطبة، وهو مسلّم عند أكابر أهل السنّة. فالنزاع ليس إلا نزاعًا لفظيًّا. فلا تستعجلوا يا أهل العقل والفطنة. ولعنة الله على من ادّعى خلاف ذلك مثقال ذرّةٍ، ومعها لعنة الناس والملائكة. منه.

أفضل الأنبياء وأزيدهم في الفيض، وأرفعهم في الدرجة وأعلى؟ وأيّ شيءٍ دينٌ لا يضيء قلبًا نورُه، ولا يُسَكِّنُ الغليلَ وُجُورُه، ولا يتغلغل في الصُّدور صدورُه، ولا يُثنَى عليه بوصْف يُتمّ الحجّة ظهورُه؟ **وأيّ شيءٍ** دينٌ لا يميّز المؤمن مِن الذي كفر وأبى، ومَن دخله يكون كمثل من خرج منه، والفرق بينهما لا يُرى؟ وأيّ شيءٍ دين لا يميت حيًّا مِن هواه، ولا يحيي بحياةٍ أخرى؟ ومن كان لله كان الله له.. كذلك خلتْ سُنّته في أُممٍ أُولَى. والنبيّ الذي ليس فيه صفة الإفاضة.. لا يقوم دليلٌ على صدقه، ولا يعرفه من أتى، وليس مثله إلا كمثل راعٍ لا يهُشُّ على غنمه ولا يسقي ويبعدها عن الماء والمرعى.

وتعلمون أنّ ديننا دينٌ **حيٌّ**، ونبيّنا يُحيي الموتى، وأنه جاء كصيّب من السماء ببركات عُظمى، وليس لدينٍ أن ينافس معه بهذه الصفات العُليا. ولا يحطّ عن إنسان ثقلَ حجابه، ولا يوصل إلى قَصْر الله وبابه، إلا هذا الدين الأجلى، ومن شكّ في هذه فليس هو إلا أعمى.

وقد اخترط الناس سيوفهم على هذا العبد من غِمْدٍ واحد، فتَجالَدَهم ربُّ الورى. فقطَّ بعضَهم، وأخزى بعضهم، ومهّل بعضهم تحت وعيده إلى يومٍ قدّر وقضى. وإنّهم آلوا أن لا يعاملوا به إلا ظلمًا وزُورا، وتحامتْ زمرُهم عن طرق التقوى، وبعدوا عن منهج الحقّ، كأنّ أسدا يفترس فيه، أو يلدغ ثعبان، أو تَعِنُّ آفة

أخرى. وودّوا أن يُقتَل هذا العبد، أو يسجن أو ينفى من الأرض، ليقولوا بعده إنه كان كاذبا فأهلكه الله وأردى أو أهان وأخزى؛ فنصره الله نصرًا بعد نصرٍ من الأرض والسماوات العُلى، واستفتح فخاب كلّ من استعلى. ورزقه الله الابتهال والإقبال عليه عند كلّ مصيبة، فاستجاب إذا دعا، وجعل أثرًا في دعوته، ومن دعا عليه فقد هوى. فطُعن كثير من الناس بدعوته، فذاقوا موتا أدهى، وقد كانوا يتمنّون يوم مَنيّته ويقولون أخْبَرَنا الله بموته وأَوحى. إنّ في ذلك لآية لأولي النُّهى.

وجعل الله داره حَرمًا آمنًا من دخلها حُفظ من الطاعون وما مَسَّه شيءٌ من الأذى، ويُتخطّف الناس من حولها. إنّ في ذلك يرى يدَ القدرة مَن كان له عين ترى.

وأعطاه أعمالا صالحات مع ثمراتها لنفع الأبرار، كأنّها جنّات تجري من تحتها الأنهار. ووضع له قبولا في الأرض، فيسعى إليه الخلق في الليل والنهار. وجذب الله إليه كثيرًا من أولي الأبصار، الذين لهم نفوس مطهّرة وطبائع سعيدة، وقلوب صافية، وصدور منشرحةٌ كالبحار، وجعل بينهم مودّة ورحمة، وأخرج من صدورهم كلّ رعونة واستكبار. وأنبأه به في وقت لم يكن فيه هذا العبد شيئًا مذكورًا، وكانت هذه النصرة سرًّا مستورا. وأعطاه عصا صدقٍ يخزي بها العدا، فتلقّفتْ ما صنعوا من حَيَواتِ كيدٍ نحتوه بالنجوى. ووعد أنه يهين من أراد إهانته، فأدرك الهوان من

أهان واستعلى. إنّهم كانوا يكذّبون من غير علم، وقلـوبهم في غَمْرة من أهواء الدنيا، وكانوا ينظرون إلى سلسلة الله مغاضبًا، ويُؤذُون عباد الله بحديث يفترى، ولا يدخلون دار الحقّ، بل يمنعون من يريد أن يدخلها ولا يأبى. فغضب الله عليهم، وقطّع لهم ثيابًا من النار، وسعّر عليهم سعير الحسرات، فلم يملكوا صبرًا، ولم يدفعوا عنهم أُوار الاضطرار. وما كان لهم مَلْجأٌ من سخط الله، ولا مَن ينجّي من البوار. ولو نظروا ذات اليمين وذات اليَسار، فكان مآلهم الخسران والخسار، والذُّلّ والصَّغار. وطاشتْ سهامهم التي رموا إلى هذا العبد، وحفظه الله من شرِّهم، وأَدْخله في حِمى الأمن ودار القرار. وقد نفضوا الكنائن ليردّوا القدر الكائن، وأرادوا أن يُطفئوا بأفواههم ما نزل من الأنوار، وسقطوا كصخرة عليه، ووَدُّوا لو تُسوّى به الأرض أو تخرّ عليه الجبال، لئلا يبقى من الآثار؛ فنصره الله نصرًا عزيزًا من عنده، ليجعل الله ذلك حسرةً عليهم، وإن الله لا يجعل على المؤمنين سبيلاً للكُفّار. وما ادرؤوا عن أنفسهم ما أنبأه الله فيهم من سُوء الأقدار. وبشّر الله هذا العبد المأمور بأنه يكون في أمانه وحرْزه، ولا يضرّه من عاداه من الأشرار، ويعيش تحت فضل الله الغفّار، فكذلك عصمه الله تحت حمايته، ورحّبَ به في حضرته، وصار على عداه كالسَّيف البتّار. وأعانه في كلّ موطنٍ كالرفيق،

ونقله إلى السَّعة من الضيق، وجعل له الأرض كوادٍ خُضْـــرٍ أو روضٍ مملوّةٍ من الثمار. ووضع البركة في أنفاسه، وطهّره مـــن أدناسه، وأوصل إلى الأقطار ضوء نبراسه. فرجع إليه كثير مـــن الأبرار، وهجروا أوطانهم في الله تعالى، وأوطنوا قريته طمعًـــا في رحمة الله الغفّار. فاشتعل العِدا حسدًا من عند أنفسهم، ومكروا كلَّ مكر، فما كان مكرهم إلا كالغبار. وأخرجوا من كلّ كنانةٍ سهْمًا، فما كان سهمهم من الله إلا التبار. وأجمعوا له ورمَوا من قوسٍ واحد، فانقلب بفضل من الله، وزادتْ عِزّته في الـــديار. وكذلك نصر الله عَبْده، وصَدَقَ وعده، وهيّأ له من لدنه كـــثيرًا من الأنصار. وبشّره بأنّه يعصمه من أيدي العدا، ويسطو بكـــل من سطا، وكذلك أنجز وعده وحفظه من كلّ نوع الضرار.

وجعله مصطفًى مبرَّأً من كلّ دنسٍ وزكّى، وقرّبه نجيًّا وأوحى إليه ما أوحى، وعلّمه من لدنه طريق الرُّشد والهُدى. وجمع له كلّ آية من الأرض والسماوات العُلى، وكفّ عنه شرّ أعدائه، وأسّس كلّ أمره على التقوى، وأَصلح شؤونه بعد تشتُّت شملها، وأوصل سهْمَه إلى ما رمى. وجعل الدنيا كأَمَة له تأتيه من غير شُحٍّ وهوى، وفتح عليه أبواب كلّ نعمةٍ وآوى وربّى. وعلّمه من لدنه وأعثره على المعارف العُليا. وقد جاءكم على وقت مُسمّى.

فما تقولون في هذا الرجل؟ هل هو صادق أو كاذب، ومِن أين منبت هذا الفضل؟ أأعطاه الله ما أعطى، أم الشيطان قادرٌ على هذه الأمور العظمى؟ بيّنوا توجروا.. واتّقوا يوم الفصل الذي يُظهر ما يخفى.

البابُ الثَّاني

اسمعوا، يا سادة - هداكم الله إلى طُرق السعادة - أني أنا المُسْتفتي وأنا المدّعي. وما أتكلّم بحجاب بل أنا على بصيرة من ربّ وهّاب. بعثني الله على رأس المائة، لأجدّد الدين وأنوّر وجه الملّة، وأكسّر الصليب وأُطفئ نار النصرانية، وأقيم سنّة خير البريّة، ولأُصلح ما فَسَدَ، وأروّج ما كَسَدَ. وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود. مَنَّ الله عليّ بالوحي والإلهام، وكلّمني كما كلّم برسله الكرام، وشهد على صدقي بآيات تشاهدونها، وأرى وجهي بأنوارٍ تعرفونها.

ولا أقول لكم أن تقبَلوني من غير برهان، وآمِنوا بي من غير سلطانٍ، بل أنادي بينكم أن تقوموا لله مقسطين، ثم انظروا إلى ما أنــزل الله لي من الآيات والبراهين والشهادات. فإن لم تجدوا آياتي كمثل ما جرتْ عادة الله في الصادقين، وخلتْ سُنّته في النبيّين الأوّلين، فرُدّوني ولا تقبلوني يا معشر المُنكرين. وإن رأيتم آياتي كآيات خلتْ في السابقين، فمن مقتضى الإيمان أن تقبلوني ولا تمرّوا عليها معرضين.

أتعجبون من رحمة الله وقد جاءتْ أيّامها؟ وترون الملّة ذاب لحمها وظهرتْ عظامها، وكُبّر أعداؤها وحُقّر خُدامها. ما لكم

ترون آيَ الله ثم تُنكرون؟ وترون شمس الحق أمام أعينكم ثم لا تستيقنون؟

أيّها الناس.. تمّتْ عليكم حجة الله فإلامَ تفرّون؟ وإن آياته من كلّ جهةٍ ظهرت، والإسلام نـــزل في غار الغربة وأوامره تعطّلت، وكلّ آفةٍ عليه نزلت، وكلّ مصيبةٍ كشرت له أنيابها، وكلّ نحوسةٍ فُتح عليه بابها، والألْفُ السادس الّذي وُعد فيه ظهور المسيح قد انقضى، فما زعمكم.. أأخلفَ الله وعده أو وفّى؟ ألا ترون كيف اتّفقت الأمم على خلاف هذه الملّة، وصالوا عليه متّفقين كسباعٍ تخرج من الأَجَمة الواحدة، وبقي الإسلام كوحيدٍ طريد، وصار غَرَضَ كلِّ مَريد، وللأغيار عيدٌ، وقمرُنا ذو القعدة، قَعَدْنا كالمنهزمين من الكَفَرة بكمال الخوف والرِّعْدة، وهم يطعنون في ديننا ولا كطَعْن الصَّعْدة؟ فعند ذلك بعثني ربّي على رأس المائة. أتزعمون أنه أرسلني من غير الضرورة؟ ووالله إنّي أرى أن الضرورة قد زادتْ من زمانٍ سَبَقَ، وولّى الإقبال كغلامٍ أَبَقَ. وكان الإسلام كرجلٍ لطيف البُنْية، مليح الحلْية، والآن ترى على وجهه سواد البدعات، وقروح المحدَثات، ونُقل إلى الغثّ سمينُه، وإلى الكدر مَعينُه، وإلى الظلمات نوره، وإلى الأخْرِبة قصوره، وصار كدارٍ ليس فيها أهلها، أو كوَقْبَة مَشارٍ ما بقي فيها إلا نحلُها. فكيف تظنّون أن الله ما أرسل مجـــدّدًا في هذا الزمان، وكان وقت نـــزولِ المائدة لا وقت رفعِ الخِوان. وكيف تزعمون

أن الله الكريم عند ازدحام هذه البدعات وسيل السيئات، ما أراد إصلاح الخلق، بل سلّط على المسلمين دجّالا منهم ليهلكَهم بسمّ الضلالات؟ أكان دجلُ النصارى قليلاً غير تامٍّ في الإضلال، فكمّله الله بهذا الدجّال؟ فوالله ليس هذا الرأي من عين العقول والأبصار، بل هو صوت أنكَرُ مِن صوت الحمارِ، وأضعف مِن رَجْعِ الحُوار.

ثم مع ذلك كيف نــزلت الآيات تَتْرَى لتأييد رجل يعلمه الله أنه من المفترين؟ أليس فيكم شيء من تقوى القلوب يا معشر المنكرين؟ ما كان لعبد أن يفتري على الله ثم ينصره الله كالمقبولين، فإن مِنْ هذا يُرفَع الأمان ويشتبه الأمر ويتزلزل الإيمان، وفيه بلاء للطالبين. أتزعمون أن رجلا يفتري على الله كلّ ليلٍ ونهارٍ، وآصال وأبكارٍ، ويقول يوحى إليّ وما أوحي إليه شيء، ثم ينصره ربّه كما ينصر الصادقين؟ أهذا أمر يقبله العقل السليم؟ ما لكم لا تفكّرون كالمتقين؟ أبقِيتْ لكم دجّالون.. وأين المجدّدون والمصلحون، وقد أكل الدينَ دودُ الكفر.. ألا تنظرون؟

أَلا ترون علماء النصارى كيف يخدعون الجهّال، ويلمّعون الأقوال والأعمال، لعلهم يرجعون؟ وإن الله أنــزل لكم حجّة عليهم، فلم لا تنتفعون بحجّته أيها العاقلون؟ ووالله لو اجتمع أوّلهم وآخرهم، وخواصّهم وعوامّهم، ورجالهم ونساؤهم، ما استطاعوا أن يأتوا بآية كما نُعطَى من ربّنا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ذلك بأنهم على الباطل، ونحن على الحقّ، وإلهنا حيٌّ، وإلههم ميّت،

فلا يسمع شهيقهم ولا زفيرا. وإن لنا نبيّ نرى آيات صدقه في هذا الزمن، وليس في أيديهم إلا خضْراء الدِّمَنِ، فأين تفرّون من حصنِ الأمن أيها الغافلون؟

وإن نبيّنا خاتم الأنبياء، **لا نبيّ بعده،** إلا الذي ينوَّر بنوره، ويكون ظهوره ظِلَّ ظهوره. فالوحي لنا حقٌّ وملْكٌ بعد الاتّباع، وهو ضالّةُ فطرتنا وجدناه من هذا النبيّ المطاع، فأُعطينا مجّانًا من غير الاشتراء. والمؤمن الكامل هو الذي رُزق من هذه النعمة على سبيل الموهبة، والذي لم يُرزَق منه شيئًا يُخاف عليه سوء الخاتمة.

هذه ملّتنا، نرى كلّ آنٍ ثمارها، ونشاهد أنوارها. وأما دين النصارى فليس إلا كدارٍ يخوّف الناسَ دُجاها، ويعمي العيونَ دُخاها، وهل لها آية لنراها؟ ووالله لو لم يكن دين الإسلام لتعسّرتْ معرفة ربّ العالمين، فما ظهرتْ خبيئة المعارف إلا بهذا الدين. وإنه كشجرة تؤتي أُكُلها كلّ حين، ويدعو الآكلين الذين هم من العاقلين. وأمّا دين عيسى فما هو إلا كشجرة اجْتثّتْ من الأرض، وأزالت الصراصر قرارها، ثم اللصوص ما أبقَوا آثارها. وليس في دينهم إلا قصص منقولة، ومن المشاهدات معزولة. ومن المعلوم أن القصص المجرّدة لا تهب اليقين، وليس فيها قوّة تجذب إلى ربّ العالمين. وإنّما الجذب في الآيات المشهودة، والكرامات الموجودة، وبها تتبدّل القلوب، وتتزكّى النفوس وتزول العيوب، فهي مختصّ بالإسلام، واتّباع نبيّنا خير الأنام، وإنا على هذا من

الشاهدين، بل من أهلها ومن المجرّبين، ونتمّ بها الحجّة على المنكرين. وأيّ شيءٍ الدينُ الذي كان كدارٍ عفَتْ آثارها، أو كروضة أُجيحت أشجارها؟ ولا يرضى العاقل بدينٍ كان كدارٍ خربتْ، أو كعصا انكسرتْ، أو كامْرأة عقَرتْ، أو كعين عميتْ.

فالحمد لله كلّ الحمد، أن الإسلام دين حيٌّ يُحيي الأموات، ويُخضّر المَوات، ويُنضّر الحياة. وإني أعجب، والله، كلَّ العجب من قومٍ يقولون إنا من فِرق الإسلام، ثم ينكرون فيوض هذا الدين وفيوض نبيّنا خير الأنام، ومكالمة الله العلام. ما لهم لا يهبّون من رقْدهم، ولا يفتحون عيون فطنتهم؟ فأستعيذ بالله من مثل حالهم وأعجب لهم ولأقوالهم! وقد قُمت فيهم مأمورًا من الله فلا يؤمنون، وأدعو إلى الله فلا يأتون، ويمرّون كأنهم ما سمعوا وهم يسمعون. أما بلغتْهم قصص قوم كانوا يكذّبون رسلهم ولا ينتهون؟ أم لهم براءة في القرآن فهم بها يتمسّكون؟

وإني، والله، من الرحمن، يكلّمني ربّي ويوحي إليّ بالفضل والإحسان. وإني نشدتُه حتى وجدتُه، وطلبتُه حتى أصبتُه. وإني أُعطيتُ حياةً بعد الممات، ووجدت الحقّ بعد ترك الفانيات. وإنّ ربّنا لا يضيع قومًا طالبين، ولا يترك في الشبهات من طلب اليقين. وإنكم مكرتم كلّ المكر، ولو لا فضل الله ورحمته لكنت من الهالكين. وخاطبني ربي وقال: إنك بأعيننا، فأوفى وعده في كل موطنٍ وعند كلّ كيدٍ من الكائدين. ونصرني وآواني إليه، وكرَّ

كلٌّ واحدٍ منكم عليّ، فلم يتمكّن بشر مني فرجعوا خائبين.

وقطعتم ما أمر الله به أن يوصل، وأشعتم بين الناس أن هؤلاء ليسوا من المسلمين، وتمنّيتم أن نكون من المخذولين، فقلّب الله عليكم أمانيكم، ونشر ذكْرنا في العالمين. أهذا جزاء المفترين؟

أيها الناس.. لكم لونان: لون في القلب، ولون في اللسان. الإيمان على الألْسُن والكفر في الجنان. جعلتم الأقوال للرحمن، والأعمال للشيطان، فأين أنتم من هداية القرآن؟ أنتم تقرؤون في كتاب الله أن عيسى ذاق كأس الممات، ثم ترفعونه مع جسمه العنصريّ إلى السماوات، فلا أدري حقيقة إيمانكم بالآيات. تتلون في صلواتكم أن عيسى مات، ولا رفْع الجسم ولا حياة[1]، ثم بعد الصلاة تتربّعون في ركن المحراب، وتُقْبِلون بوجوهكم على الأصحاب، فتقولون: من اعتقد بموته فهو كافر وجزاؤه السعير، ووجب له التكفير. تلك صلواتكم، وهذه كلماتكم! تقرؤون في الفرقان: ﴿**فلما توفّيتني**﴾[2] وبه تؤمنون، ثم تتركون معناه وراء

---

[1] وأما ما قال ﷻ: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ورَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ * فليس معناه رفع الجسم مع الروح، والدليل عليه ذكر التّوفّي قبل الرفع، وإنَ هذا الرفع حقّ كلّ مؤمن بعد الممات، وهو ثابت من القرآن والأحاديث والروايات. وإن اليهود كانوا منكرين برفع عيسى، ويقولون إن عيسى لا يُرفَع كمثل المؤمنين ولا يُحيَى، وذلك بأنهم كانوا يُكفِّرونه ولا يحسبونه من المؤمنين. فردّ الله عليهم في هذه الآية، وكذلك في آيات أخرى وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيه﴾ ◈ وإنهم من الكاذبين. منه.

* *سورة آل عمران: ٥٦* ◈ *سورة النساء: ١٥٩*

[2] *سورة المائدة: ١١٨*

ظهوركم وأنتم تعلمون. أتجحدون في كتاب الله نــزول عيسى بعد موته؟ فما معنى ﴿فلما توفّيتَني﴾ يا ذوي الحَصاة؟

أتكفرون بكتاب الله بعد إيمانكم، ولا تتّقون الله وتبغون مرضاة إخوانكم؟ أتعادون من أُرسل على رأس المائة، وهو منكم ومن هذه الأُمّة، وجاء في وقت الضرورة، وعند فتن النصرانية، ووافى دروب صحف الله بالحقّ والحكمة، وشهد الله على صدقه بالآيات المنيرة. ما لكم تردّون رحمة الله بعد نزولها، ولا تكونون من الشاكرين؟ غشي الإسلامَ ليلُكم، وانهمر إليه سيلُكم، وتَحْسَبون أنكم تحسنون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الزمان وآفاته، وإلى طوفان الكفر وسطواته؟ أليس فيكم رجل من المتفرّسين؟ فعجِبْنا والله، كلّ العجب، وحَيَّرَنا ما تقولون وما تفعلون، وما تصنعون بحذاء الكافرين، وما أعددتم في جواب المتنصّرين؟ إنكم تقطعون أصلكم بأيديكم، وتنصرون بأقوالكم أعداء الدين. إن الله أرسل عبدًا عند هذا الطوفان، وأنتم تُكفّرونه وتخرجونه من دائرة الإيمان، وقد جاء بنورٍ تجلَّى، وبالمعارف تحلّى، ليكون حجّة الله على صدق الإسلام، ولتخرج شمس الدين من الظلام، وليدافع الله عنه الضرَّ، والزمنَ المُرَّ، وليمدّ ظلّه ويكثر ثماره، ويُري الخلْقَ أنواره، وليشاهد الناس أنه أزيد من كلّ دينٍ، في كيفٍ وكمٍّ وثَمٍّ ورَمٍّ، ثم أنتم تكفرون به، بل أنتم أوّل المعادين. وظنَنَّا أنكم صَفْو الزمان، وعينٌ جارية للظمْآن، فظهر أنكم ماء كدر لا يوجد في الكدورة مثلكم في

البلدان. وجادلتم، فأكثرتم جدالكم حتى سبقتم السابقين، وجاوزتم الحدود، ونقضتم العهود، وكفّرتم المسلمين.

ألا ترون أني كنت عبدًا مستورًا في زاوية الخمول، بعيدا من الإعزاز والقبول، لا يُومَى إليّ ولا يشار، ولا يرجى مني النفع ولا الضرار، وما كنت من المعروفين. فأوحى إليّ ربّي وقال: إني اخترتك وآثرتك، فقُلْ إنّي أُمرت وأنا أوّل المؤمنين. وقال: أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتُعرَف بين الناس. يأتون من كلّ فجٍّ عميق. ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء. يأتيك من كلّ فجٍّ عميق. هذا ما قال ربي، فأنتم ترون كيف أرى العون. إن الناس أتَتْني أفواجًا، وانثالتْ عليّ الهدايا كأنّها بحر تَهيَّجَ في كل آن أمواجًا.

هذه آيات الله لا تنظرون إلى نورها، وتنكرون بعد ظهورها. ألا تفكّرون في أمري؟ أسمعتم اسمي قبل ما أنبأ به ربّي؟ فإنّي كنت مستورًا كأحدٍ من الأنام، غير مذكور في الخواصّ ولا العوامّ. ومضى عليّ دهرٌ ما كنت شيئا مذكورًا، وكنت أعيش كرجل اتّخذه الناس مهجورًا؛ وكانت قريتي أبْعَدَ من قصد السيّارة، وأحقَرَ في عيون النظّارة، درستْ طلولها وكُرِهَ حلولها، وقلّت بركاتها وكثرت مضرّاتها ومعرّاتها؛ والذين يسكنون فيها كانوا كبهائم، وبذلّتهم الظاهرة يدعون اللائم؛ لا يعلمون ما الإسلام، وما القرآن وما الأحكام. فهذا من عجائب قضاء الله وغرائب

القدرة، أنه بعثني من مثل هذه الخربة، لأكون على أعداء الدين كالحَرْبة. وبشّرني في زمن خمولي وأيّام قبولي بأني سَأكُون مرجع الخلائق، ولِصَوِل الكفرة كالسدّ العائق، وأُجلَسُ على الصدر، وأُجعل للقلوب كالصدر. يأتونني من كلّ فجّ عميق، بالهدايا وبكلّ ما يليق. هذا وحي من السماء، من حضرة الكبرياء، ما كان حديثًا يُفترى، ولا كلامًا ينسج من الهوى، بل وعد من ربّي الأعلى. وكُتب وطُبع وأُشيع قبل ظهوره في الورى، وأُرسل في المدائن والقُرى، ثم ظهر كشمس الضحى. وترون الناس يجيئونني فوجًا بعد فوج مع الهدايا التي لا تعدّ ولا تحصى. أليس في ذلك آيةٌ لأولي النهى؟ وإن كنتَ تحسبني كاذبا فأْرِ الخلْق سرّي، واكشِفْ ستري، واسئلْ من أهل هذه القرية، لعلك تُنصَر من العدا.

وإنما حدّثتك بهذا الحديث لعلك تفتّش وتهدى. فإن كنت لا تخاف الله فامْضِ على وجهك، يأتي الله بعوضك. وإن كنت تتّقيه، فالبرهان بيّنٌ والأمر هيّنٌ. قد رأى الإسلام صدمات الخريف، فانظُرْ.. ألم يأن وقت الربيع والنسيم اللطيف؟ وترى أن القلوب في زمننا هذا أجدبتْ، وطلّقها المُبْسِرات وتركتْ، فجاءت رحمة الله بجودها، وتداركت وأجادت. وأراد الله في هذه الأيام أن يميط شوكًا تجرّح أقدام الإسلام، ويقطع كلّ قتاد وقع في سبيله، ويُطهّر الأرض من اللئام. فتقبّلْ أو لا تقبّلْ.. إني أنا مطر الربيع، وما ادعيتُ بهوى النفس بل أُرسلت من الله البديع، لأطهّر الدنيا من

أوثانها، وأزكّي النفوس من الشهوات وشيطانها. ألا ترى ما نزل على هذه الملّة؟ وكيف زادتْ علل على العلّة؟ وتجاوز الوباء مِن أهل دار، إلى مَن كان في جوار، ودعا الحَينُ أخاه، بمثل ما دعاه. ووُطئ الدين تحت أقدام عَبَدَة إنسان، وصال الأعداء عليه كثعْبان، حتى صار كقرية يُطرِّقها السَّيل، أو كأرض تعدو عليها الخيل. هناك رأى الله أن الأرض خربت، وخيالات الناس فسدت، وما بقي فيهم إلا أماني الدنيا وأهواؤها، وتمايَلَ عليها أبناؤها. فعند ذلك أقامني فيكم لتجديد الدين، وإصلاح الملّة والتزيين. فانظروا، رحمكم الله، أجئتكم في غير المحلّ كالمفترين، أو أدركتُكم عند نهب الشياطين؟

واعلموا، هداكم الله، أن هذا الأمر بقضاء من الله وقدْره، وهذا النور ليس من ظلمة بل من بدْره. وكم من ذئب افترس عباد الله، أفلا تنظرون؟ وكم من لصٍّ نهب أموال الدِّين، أفلا تشاهدون؟ فما زعمكم.. ألم يأْنِ وقت نصرة الرحمن؟ كلا.. بل جاءت أيّام فضل الله والإحسان. وما جئتكم من غير سلطان مبين، وعندي شهادات من الله تزيد يقينًا على يقين. وكنتُ في حَيّة قومي كمَيْت، وبيت كلا بيت. وكنتُ مستورًا غير معروف، لا يعرفني أحد في القرية، إلا قليل من الطائفة. وكنت أعيش في زاوية الكتمان، لا يجيئني أحد من الرجال والنسوان. وكنت مخفيًّا من أهل الزمان، ما قصدت بلدةً من البلدان، وما جُبْتُ الآفاق، وما

رأيت العرب وما تقصّيتُ العراق. وما كان لي، والله، سعة المال، وما ارتضعت من الدهر إلا ثدْيَ عقيمٍ لا يُرجَى منه لبن الكمال، وما ركبتُ إلا ظهر بهيمٍ ليس فيه شِيَةُ يُسْرِ الحال. فبشّرني ربّي في تلك الزمن بأنه سيكفيني في جميع المهمّات، ويفتح عليّ باب كلّ نعمة من التفضلات. وكما ذكرت، كان ذلك الوقت وقتَ العسرِ وأنواعِ الحاجات، وبشّرني ربّي بتسهيل أموري وتيسير مناهجي، وتكفُّله بكلّ حوائجي. فعند ذلك وفي زمنٍ أبعد مِن أمنٍ أمرت أن يُصنَع خاتم فيه نقوش هذه الأنباء، ليكون عند ظهورها آية للطُّلباء، وحُجّة على الأعداء. والخاتم موجود وهذا نقشه:



يا أهل الآراء*.

ثم فعَل الله كما وعد، ومطَر سحاب فضله كما رعد، وجعل الله حبّة صغيرة أشجارا باسقةً، وأثمارًا يانعةً. ولا سبيل إلى الإنكار، ولو اتّفق فِرق الكفّار، فإن شهادة الشهداء تسوّد وجه من أبى، وكيف الإنكار من شمس الضُّحى؟ ثم إذا تمّتْ كلمة ربّي، وملأ الله جِرابي، تبادرَ القوم بابي، وصرت من القطرة كالبحار، ومن الذرّة كالجبال الكبار، ومن زرع صغير كالأشجار المملوّة

* قد مضى على صنْع هذا الخاتم أزيد من ثلاثين سنة، وما ضاع إلى هذا الوقت فضلا من الله ورحمة. وما كان في ذلك الزمن أثر من عزّتي، ولا ذكر من شهرتي، وكنت في زاوية الخمول، محروما من الإعزاز والقبول. منه.

من الثمار، ومِن دودةٍ كَكُماةِ المضمار، إن في ذلك لآية لأولي الأبصار.

وكذلك بشّرني ربي بطول عمري في بدْء أمري وقال: (ترى نسْلاً بعيدًا). فعمّرني ربي حتى رأيت نسلي ونسل نسلي، ولم يتركني كالأبتر الذي لم يُرزق وليدًا، وتكفي هذه الآية سعيدا.

فأفتوني أيها العلماء والمحدّثون والفقهاء.. أتجوّز عقولكم أن تلك المعاملات كلّها يعامل الله برجل يعلم أنه يفتري عليه، ويكذب أمام عينيه؟ وهل تجدون في سنّة الله أنه يُظهر على غيبه إلى عمر طويل أحدا من المفترين؟ ويتمّ عليه كلّ نعمته كالنبيّين الصادقين؟ وينصره في كلّ موطن بإكرامٍ مبين؟ ويمهّله مع هذا الافتراء حتى يبلغ الشيبَ من الشباب، ويُلحق به ألوفا من الأصحاب، ويعينه ويطرد أعداءه المؤذين كالكلاب؟ ويؤتيه ما لم يؤتَ أحد من المعاصرين، ويُهلك من باهله أمام عينيه أو يخزي ويهين؟ ومن كان على الدنيا مُكِبًّا ولزينتها محبًّا، ومن أهل الافتراء والفرية.. أرأيتم نصرته كهذه النصرة؟ أو أحسستم له عونةَ الله كهذه العونة؟

ما لكم لا تفكّرون كالمتّقين؟ هداكم الله! إلامَ تكفّرون عباد الله المؤيّدين؟ وإنكم تكذّبونني، ولا أعلم بم تكذّبون! أكَفرتُ بكتاب الله، أو أنكرتُ ما جاء به المرسلون؟ أو ما رأيتم آيات الله فلذلك ترتابون؟ أو جئتكم في غير الوقت فقلتم جاء كما يجيء

المزوّرون؟ ما لكم لا تعرفون الحقّ ولا تبصرون؟ انظروا إلى الأمم الخالية من المفترين، والخليقة الفانية من المتقوّلين.. كيف انتسفهم الله لافترائهم، وأهلكهم وما أبقى شيئًا من نبئهم، ومحا آثارهم، وأفنى أنصارهم، لما كانوا كاذبين، وللصادقين منافسين. ولو لا تفريق الله بين الحق والباطل لارتفع الأمان، وتشابهَ الخبيث والطيب والخرب والعمران، و لم يبْق فرقٌ بين المقبولين والمردودين.

اعلموا، رحمكم الله، أن عمر الافتراء قليل، والمفتري في آخر عمره ذليل. ثم المفترون قوم مخذولون لا ينصرهم ربٌّ علّام، ولا يشهد الله لهم وليست في كنانتهم سهامٌ، وليس متاعهم إلا كلام، ولا يؤيَّدون ولا يباركون كالمقبولين. ومن سنن الله أنه إذا بارز أحد من المكذّبين صادقا وقام للمنازعة، أو اشتبك معه بنيّةِ المباهلة، صرعه الله بالخزي والذلّة، وكذلك جرتْ عادة حضرة الأحديّة، ليفرّق بين الصديقين والمزوّرين. إن المزوّرين لا يُنصرون من الله، ولا يؤيَّدون بروح منه، ولا توافيهم نور من السماء، ولا تُقدَّم إليهم مائدة الصلحاء، وما هم إلا كلاب الدنيا، تجدهم عليها متمايلين، وتجد صدورهم مملوّة من شحّها وهم على أنفسهم من الشاهدين. ويُخزَون في مآل أمرهم، وهناك يُعرَف وجود مميّز يميّز الخبيث من الطيّبين. والذين صدقوا عند ربّهم قد ثنى الله تعالى عن الدنيا عنانِهم، وعطف إليه جنانهم، فاختاروا لــه اليوم الأسود والموتَ الأحمر، وأعطَوه الظاهر والمضمَر، وسعوا إليه بوجدهم،

وقضوا مناسك عشقهم، وأتمّوا طواف محبّتهم، أولئك لا يخزون في هذه وفي يوم الدين، وسيسكنون في مقاصر عزّ ورفعة. لا يرون تجاهَ العدا مِن عثرةٍ، ويحفظهم الله من كلّ صرعةٍ، ويقيلهم وينعشهم عند كلّ سقطة، فيعيشون محفوظين.

والفرق بينهم وبين المفترين كشمس الضحى والليلِ إذا سجى، أو كحليبٍ لطيفٍ وخلّ ثقيف. يتراءى نور جبْهتهم للناظرين. إنهم سرّحوا امرأة الدنيا وزينتها، واختاروا الآخرة وذاقوا سكينتها، واستراحوا مع الله بعد ترك أهوائهم، وخرّوا على حضرة الله وفرّوا إليه منقطعين، وقنعوا من الدنيا بثوبٍ كثيف، وبقلٍ قطيف، فأعطى أرواحهم حللاً كبرقٍ مع غذاء لطيف، وردّ إليهم ما تركوا وكذلك يفعل الله بالمخلصين. ونظر الله إليهم فوجدهم الطيّبين الطاهرين، ورأى أنهم يؤثرونه على غيرهم*، فآثرهم على الأغيار، ورأى أنهم كانوا له فكان لهم، وجعلهم مهبط الأنوار، وكذلك جرتْ سنّته من الأوّلين إلى الآخرين. وكم بئر تُحفَر لهم، فيخرجهم الله بأيديه، ولا تصيبهم مصيبة ليهلكوا، بل ليري الله بها كرامتهم، ولا تنزل عليهم آفة ليدمَّروا بل ليثبت الله بها أنهم من المؤيَّدين. أولئك رجال صافاهم حِبُّهم. ولا يخزي الله قوما إلا بعد أن يتألّم قلوبهم بإيذاء تلك الخبيثين، كذلك جرتْ سنّة الله في المخلوقين. وإذا أقبلوا على الله سمع لهم، وإذا استفتحوا فخاب كلّ

* *هكذا ورد في الأصل سهوًا، والصحيح "غيره". (الناشر)*

ظلّام ضنين. يعيشون تحت رداء الله.. تراهم أحياءً وهم من الفانين.

أتظُنّ أن هذا القوم قد خلوا من قبل ولا يريد الله أن يخلق مثلهم في الآخرين؟ ثقلتْك* أُمّك! إنْ هذا إلا خطأ مبين. يا عافاك الله.. بعدتَ بُعدًا عظيمًا من سنن الله ربّ العالمين. لو لا وجودهم لفسدت الأرض ومن فيها، فلذلك وجب وجودهم إلى يوم الدين.

وما أرسلني ربي إلا ليكفّ عنكم أيدي الكفّار، ويهيّئكم لنـــزول الأنوار، فما لكم لا تشكرون بل تعرضون عن الهُدى؟ أتعلمون أنكم تُترَكون سُدى؟ وإن مع اليوم غدا. وما جئتكم من هوى النفس، وما كنت مشتاق الظهور، بل كنت أحبّ أن أعيش مكتومًا كأهل القبور، فأخرجني ربي على كراهتي من الخروج، وأضاء اسمي في العالم مع هربي من الشهرة والعروج، ولبثتُ عمرًا كالسرّ المستور، أو القُنْفُذ المذعور، أو كرميم في التراب، أو كفتيل خارج من الحساب. ثم أعطاني ربي ما يُحفِظ العدا، ومنَّ عليّ بوحي أجلى. فاشتعل السُّفهاء وظلموا، وكان بعضهم من البعض أطْغى، وسفَتْ منهم عليّ الأعاصرُ والصراصر العظمى، فرأيتم مآلهم يا أولي النهى. ثم بعدهم أدعوكم إلى الله، فإن تقبلوا فالله حسبكم، وإن تكفروا فالله حسيبكم، والسلام على من اتّبع الهُدى.

* هكذا ورد في الأصل سهوًا، وصُحّح في طبعة "الخزائن": "ثكلتك". (الناشر)

يا فتيان رحمكم الله.. ترون انقلابًا عظيمًا في العالم، وتشاهدون من أنواع المعالم. وأشقى الناسِ في هذا الزمن المسلمون. نُهب دُنياهم، وكثير منهم من الدين يرتدّون. لا ينــزل بلاءٌ إلا عليهم، ولا تُهلِك داهية إلا قومهم. ما حدثتْ بدعة إلا ولَجتْ بينهم، وما عرَضتْ عليهم الدنيا عينَها إلا فقأتْ بها عينهم. نرى شبّانهم تركوا شعار الملّة الإسلامية، ومحوا آثار سنن* النبويّة. يحلّقون اللُّحى، ويعظّمون السبال، ويطوّلون الشوارب، مع تلبُّس الحلل النصرانية. فهم في هذا الزمن أشقى مَن أظلّتْه السماء، وآوتْه الغبراء. يعرضون عن فضل الله إذا أتى، ويفرّون من رحم الله إذا وافى. تَنحَّوا عن خِوان الله إذا دنا، واتّبعوا طرقًا أُخرى. لا يخافون حرّ النار واللّظى، ويخافون مرارة هذه الدنيا، والطريق الذي ما نصّفه الشيطان وطئوا كلّه، فسبقوا الخنّاس الأطغى.

ومنهم قوم يقولون إنا نحن العلماء، ويتكلّمون كما يتكلّم السفهاء، يضلّون الناس بغير علم وهُدى، ويعرضون عن الحقّ الذي حصْحص وتجلّى. ويدفنون خيرَ الرسل في التراب، ويُصعِدون عيسى إلى السماوات العلى. فتلك إذًا قسمةٌ ضيزى! يبصرون ثم لا يبصرون، يرون الحقّ ثم يتعامون وهم يعلمون، ويكتمون الحقّ الذي ظهر كشمس الضحى. ألا يرون نصر الله

---

* *هكذا ورد في الأصل سهوًا، وصُحّح في طبعة "الخزائن": "السنن". (الناشر)*

كيف أتى؟ ويُريهم الله كلّ سنةٍ ما يكرهونها من آيات عظمى✪، ثم يمرّون كأنّهم ما رأوا، ويتحامون عن طرق التقوى، كأنّ أسدًا يفترس فيها أو تأخذهم آفاتٌ أخرى. أيظُنّون أنهم لا يُسألون ويُتركون كشيء يُنسى؟ ألا يرون الآيات من ربي، أو رأوا كمثله معاملة الله برجل افترى؟ ما لهم لا يتركون عادة الإيذاء، والسبّ والازدراء؟ أأقْسموا وآلوا وعاهدوا عليه؟ والله يسمع ويرى. يا حسرات عليهم! إنهم جاوزوا حدّ التُّقَى، وطُبع على القلوب فآثروا العَشا والعمى. يخافون الخَلْق ولا يخافون الله، ولا يتّقون حرّ النّار واللّظى. وقد أوتوا مفاتيح دار الدين فما دخلوها، وما رضوا بأن يدخلها زمرٌ أخرى. أيُرْجَى منهم أن يؤمنوا بإمام وقتهم، بل

✪ إني كتبت غير مرّة أن من أعظم آي الله ما أنبأني بكثرة الجماعة، ورجوع الناس إليّ فوجا بعد فوج، ودخولهم في هذه السلسلة. وكان هذا الوحي في زمن كنت فيه رجلا خاملا لا يعرفني أحد، لا من الخواصّ ولا من العامّة. ثم بعد ذلك زادت جماعتي إلى حدّ لا يعرف عددهم على الوجه الكامل إلا عالم الغيب والشهادة، وانتشروا في هذه البلاد وبلاد أخرى كصيّب يعمّ كلّ أقطار البلدة. ففكّروا.. أليس ذلك من الآيات العظيمة؟ وقد أيّد كلامي هذا المكتوب الذي بلغني اليوم في آخر جنوري سنة ١٩٠٧م من أرض مصر، فأكتب منه السطرين لملاحظة أهل النّصفة، وهو هذا: إلى ذي الجلال والاحترام المسيح الموعود ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي الفنجابي، بعد التحية، لقد كثرتْ أتباعكم في هذه البلاد وصارت عدد الرمل والحصا، ولم يبق أحد إلا وعمل برأيكم واتّبع أنصاركم◈. الراقم: أحمد زهري بدر الدين، من إسكندرية، ١٩ دسمبر سنة ١٩٠٦م. منه.

◈ *يبدو أن خطأ ما حصل هنا، فربما كان هذا الأخ المصري يتحدث عن رؤيا رآها، أو عما توقّعه في مستقبل الأيام، أو أنه ربما يشير خطأ إلى الفرقة الصوفية الشاذلية الأحمدية المتواجدة في مصر. (الناشر)*

يقولون كذّابٌ يُضلّ الورى، أرى نفسَه في زيّ المسلمين ولا يؤمن بالله ورسوله المصطفى. وما شَقّوا صدري، فما أعثرهم على كفر يُخفَى؟ وقد رأوا آياتٍ إن رآها قوم أُهلكوا في قرونٍ أولى ما عُذّبوا في الدنيا ولا في العُقبى. فهذه شقْوتهم.. طلعت الشمس عليهم وأضحى، وهم يختفون في الغار ويؤثرون الدُّجَى. لا يفرّقون بين خائنٍ وأمينٍ، وبين نهارٍ وليلٍ سجى. يريدون أن يطفئوا نورًا نـــزل من الله ذي الجلال، والله غالب على أمره وإن كان مكرهم تزول به الجبال. أيحسبون أنهم قومٌ ليس لهم زوال؟ وسيبطل الله كيدهم، وإن كان كيدهم كحليبٍ أَجرَى في الحلوق، وأمضى في العروق، أو كغذاء أخرى هي ألطفُ وأَحلَى. أيستطيعون أن يردّوا قضاءه؟ سبحان ربّنا الأعلى! إنه يغلِب ولا يُغلَب، وينفّذ أمره من السماء إلى تحت الثرى. فهل من فتى يخافه ولا يطغى؟ وهل من حُرّ يطيعه ولا يأبى؟ أيتّكئون على آراء آبائهم الأوّلين؟ وليس لآرائهم ثبات، وتجدهم فيها مختلفين، وما زالت النوى تطرح برأيهم كلَّ مطرح، فلا يثبت وليس له قرار ويتبدّل كلّ حين. ووالله، إني صادق، وجحدوا بما جئت به بغير علم ولا بُرهان مبين. وإني أعرض نفسي للذبح فما دونه إن كانوا من الصادقين. إن يقولون إلا رجمًا بالغيب، وليسوا على الحق مُعْثرين.

ويقولون إن الزلازل والطاعون ما جاءت إلا بنحوسة هؤلاء، وإنهم قوم منحوسون. انظرْ إلى أقوالهم كيف يهذَرون! يا أعداء

الكتاب والرسول، بماذا تَطيَّرون؟ أجاء العذاب بما أرسل الله عبده ليتمّ به حجّته ولينذر قومًا غافلين؟ ويلٌ لكم ولما تزعمون! وقد أنبأ الله بها قبل ظهورها ثم أنتم بالله ورسله تستهزئون. وإن الله يرى كلّ ما تصنعون. ترون ليالي الكفر وظُلماتها، وتُحسّون حاجةَ مرسل وأماراتها، ثم أنتم تعرضون كأنكم قوم عمون. وإذا ابتسم ثغرُ صبح الإسلام، وأراد الله أن يجيح الشرك بآياته العظام، فلكم مكرٌ في آياته، لعل الناس إلى الحق لا يرجعون. وتقرؤون في سورة النور من غير الشكّ والغُمّة، أن الخلفاء كلّهم يأتون من هذه الأُمّة، ثم تلتمسون عيسى الذي هو من بني إسرائيل، وتنسون ما فيهم قيل. وتقرؤون في حديث نبيّ الله: **إمامُكم منِكم**، ثم أنتم تتجاهلون.

أتكفرون بمن جاء من الرحمن بالآيات البيّنات والبرهان، وترون الكفّار كيف جرّحوا دينكم الذي هو خير الأديان؟ وهمّوا بأن ترتدّوا وتكونوا كمثلهم حزب الشيطان. فاعلموا -رحمكم الله - أن غيرة الله قد اقتضتْ في هذا الزمان، أن يرسل عبده وينجز وعده، وينجي حزبه من أهل العُدوان. فأنا هو العبد المأمور، والوقت هو الوقت المسطور، فهل أنتم تؤمنون؟ والحقّ قد تبيّن، والوقت قد تعيّن، فما لكم لا تفهمون؟ يا حسراتٍ عليكم، إنكم صرتم أوّل كافرٍ بي، وكنتم من قبل تنتظرون. ألا ترون كيف شاع الشرك في أعطاف الأرض وأطرافها، وأقطار البلدة وأكنافها؟

أتكفرون بما أنـــزل الله وأنتم تعلمون؟

يا عُلماء القوم، لا تَعمّدوا لقداح النوم، والله يوقظكم بحوادث كُبرى، وينبّئكم بدواهٍ عُظمى. فأين الخوف كالأبرار، وأين ماء الدموع بذكر الله القهّار؟ كنتم إناء الدين، فترشّح الكفر منه وفاضَ، فأعجبني أن طير نفسكم ما فرّخ وما باض. أخُلقتم لأكل رغيف، مع شواء صفيف، على خوان نظيف، أيها المُسرِفون؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُون﴾✪ وما قال "إلا ليأكلون". يا سبحان الله! أيّ طريق اخترتم، وأيّ نهج آثرتم؟ أتعيشون إلى آخر الدُّنيا ولا تموتون؟ وتقطفون ثمارها خالدين فيها أبدا، ولا تهلكون؟ إن الدنيا قد انتهتْ إلى آخرها فلم لا تستيقظون؟ وقد حلّ أرضَكم هذه وباءُ الطاعون، وآفات أُخرى ألا تنظرون؟ وإن أشْتيتم أو أصَفْتم، فهي معكم ولا تفارقكم، ألا تبصرون؟ أأخذكم العَشا أم أنتم قومٌ عمون؟ وعنّتْ أمامكم مصائب شتّى، حتى صُبّتْ على أنفسكم وأولادكم ونسائكم وذوي القُرْبى، وتفارقكم كلَّ سنة أَعزّتُكم بموتهم، فلا تستطيعون غير أن يفزع ويبكى. وما كان الله معذّب قوم حتى يبعث رسولاً، ليتمّ الحجّة، والأمر يُقْضى. هكذا قال الله في كتابه وهكذا خلتْ سُنّته في أمم أولى. فما لكم لا تعرفون إمامًا أُرسل إليكم، ولا تتّبعون داعيًا أقيم فيكم؟ ألا تعلمون مآل من كذّب وأبى؟ أرضِيتم

✪ *سورة الذاريات: ٥٧*

أن تموتوا ميتة الجاهلية ثم تُسألوا في العُقْبى؟ وأنتم تُهدَون إلى الطيّب من القول، فما لكم تؤثرون الكدر وتتركون الأصفى؟ تَدَعون من جاءكم، وتَدْعون الميت من السماوات العلى. وتسبّون وتشتمون، وتقولون ما تقولون، ولا تخافون يومًا تحضر فيه كلّ نفسٍ لتجزى. وليس نبيّ ذليلاً إلا في وطنه، فسُبّوا واشْتموا والله يسمع ويرى.

يا قوم، لم تتعامون وأنتم تبصرون؟ ولم تتجاهلون وأنتم تعلمون؟ أما علمتم عاقبة الذين كانوا يستهزئون؟ تلدغون كالزّنْبور، وتؤذون رجلا اعْتمّ كالسراج بالنور، وتَهرّون برؤية البدور. وأبدرَ الصلحاءُ وأنتم تُظلمون، وجاء الناس وأنتم تهربون.

وكَمْ من مُستهزئٍ أخبروا بموتي كأنهم أُلهموا من الله العلام، وأصرّوا عليه وأشاعوه في الأقوام، فإذا الأمر بالضدّ، وردّ الله مزاحهم عليهم كالجِدّ، وماتوا في أَسْرع وقت بعد إلهامهم، وتركوا حشيش ندامة وذلّة لأَنعامهم.

ورُبَّ مؤذٍ ما آذَوني إلا ليظهر الله بهم بعض الآيات، وقد قصصْنا قصصهم في "حقيقة الوحي"، لتكون تبصرةً للطالبين والطالبات. وأقرب القصص من هذا الوقت قصّة رجلٍ مات في ذي القعدة، وكان يلعنني ويسبّني، وكان اسمه **سعد الله**، وكان سبُّه كالصَّعْدة. وإذا بلغ شتمه إلى منتهاه، وسبق في الإيذاء كلّ من سواه، أوحى إليّ ربي في أمر موته وخِزْيه وقطع نسله بما قضاه،

وقال: إن شانئك هو الأبتر، فأشعتُ بين الناس ما أوحى ربي الأكبر. ثم بعد ذلك صدّق الله إلهامي، فأردتُ أن أفصّله في كلامي، وأشيع ما صنع الله بذلك الفتّان، وعدوّ عباد الله الرحمن. فمنعني من ذلك وكيلٌ كان من جماعتي، وخوّفني من إرادة إشاعتي، وقال: لو أشعتها لا تأمَن مَقْتَ الحكّام، ويجُرّك القانون إلى الأَثام، ولا سبيل إلى الخلاص، ولات حين مناص، وتلزمك المصائب ملازمة الغريم، والمآل معلوم بعد التعب العظيم، وليست الحكومة تاركَ المجرمين، فالخير في إخفاء هذا الوحي كالمحتاطين. فقلت إني أرى الصواب في تعظيم الإلهام، وإن الإخفاء معصية عندي ومن سير اللئام، وما كان لأحد أن يضرّ من دون بارئ الأنام، ولا أبالي بعده تهديد الحُكّام، وندعو ربّنا الذي هو منبت الفضل، وإن لم يستجبْ فنرضى بالعيش الرذل. ووالله، إنه لا يسلّط عليّ هذا الشرير، وينـــزل عليه آفة وينجي عبده المستجير. فسمع كلامي بعض زبدة المخلصين.. الفاضل الجليل في علم الدين.. أعني محبّنا المولوي الحكيم **نورُ الدِّين**، فجرى على لسانه حديث: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ"، واطمأنّ القلوب بقولي وقوله، وخطّأوا المحذِّر، واستضعفوا بناء هوله. ثم دعوت على "سعد الله" إلى ثلاثة أيام، وتمنّيت موته من ربّ علام. فأوحي إليّ: رُبَّ أشعثَ أغبرَ لو أقسم على الله لأبرَّه، يعني إنه تعالى يدافع عنك شرّه. فوالله، ما مضى عليّ إلا ليال حتى جاءني نعي موته، فالحمد

لله على ما ضرب العدوّ بسوطه.

أيها الناس.. إني جئتُ من ربي بمائدةٍ لأطعم البائس الفقير، فهل فيكم من يأخذ هذا الخوان ويأمن الجوعِ المبير؟ ومن لم يوافقه هذا الغذاءُ فهو من قوم يقال لهم أشقياء، ومن أكله فله في هذه أجر كبير، ثم وراءها فضل كثير. يريد الله ليحطّ عنكم الأثقال، ويضع السلاسل والأغلال، وينقلكم من الأرض المُجْدبة، إلى بلدة النعمة والرفاهة، وينجيكم من ظلمات اشتدّتْ فيها الريح، ويبلّغكم إلى مقاصر أُشعلتْ فيها المصابيح، ويطهّركم من الذنب والزور، لتكونوا كالذي قفل من الحجّ المبرور. ولكنّكم رضيتم بأن تتّسخ أبدانكم بوسخ الذنوب، وأن تبعدوا أبدًا من ديار المحبوب. وإني عرضت عليكم ماء الحياة، فآثرتم كأس الممات، ودعوتكم إلى البيت العتيق، ففررتم إلى الغرانيق. وإنكم تسبّون وإنا نقاسي لكم الضجر والكرْبة، وندعو لكم في ظلمات الغمّ كأنّا نصلّي العتمةَ. وإنّ الأمر في يد الله يفعل ما يشاء، وفي يده القضاء، ويأتي يوم يلين ذلك الحجر، وإلى متى هذا الضَّجَر؟

أيها الناس.. لا تَمايلوا على قول العامّة، وإنهم قد أعرضوا عن طرق السلامة. وإن عجبتم فما أعجب من قولهم إنّ عيسى حيٌّ مع الجسم في السماوات، ثم مع ذلك لحِق بالأموات، ودخل معهم في الجنّات! ويقولون إنه يترك صحبة الموتى في آخر الأيام، وينـــزل إلى بعض أرضين، ويمكث إلى أربعين، ثم يرحل من هذا

المقام، ويلحق بالأموات إلى الدوام. هذه خلاصة اعتقاداتهم، وملخّص خرافاتهم. فبقينا متحيّرين من هذا البيان، مع هذا الهذيان. لا أعلم أجَرَّتْهم إليه الأهواء، أو غلبت عليهم السوداء؟ ما لهم إنهم مع طول الزمان، وتلاوة القرآن، ما اهتدوا إلى الحق إلى هذا الأوان؟ فما أفهم مِن أيّ قسمٍ هذا الجنون، وقد مضتْ عليه القرون؟ فوالله، قد حيّرني إصرارهم على أمرٍ يخالف القرآن، ويجيح الإيمان. وقد جاءهم حَكَمٌ من الله بالحق والحكمة على رأس المائة، وعند غلبة كلِّ نوع البدعة وغلبة الكَفَرةِ، فأعجبني أنهم لأيّ سبب أنكروه، وهو يدعو الزمان والزمان يدعوه. ووالله، إنّي أنا المسيح الموعودُ، وأعطاني ربي سلطانًا مبينًا، وإني على بصيرة من ربي، ولو رُفع الحجاب لما ازددتُ يقينًا. إن الله رأى نفوسًا عاصية، وزمنًا كليلةٍ قاسية، فأرسلني لعلهم يتوبون. وكيف ننصح لهم وإنهم قوم لا يسمعون، وإنهم عن صراط الحقّ لناكبون؟ فرّوا من مائدة الله ورُغفانها، وانتشروا وبقيت الخوانُ على مكانها، وآثروا عصيدة الدنيا وتحلّبتْ لها أفواههم، وتلمّظتْ لها شفاههم، فأقلّ ما يكون في صدقي أن يصيبهم بعض الذي أَعدُهم، فما لهم لا ينتظرون؟

وقالوا إن عيسى حيٌّ، وذلك لقلّةِ علْمهم بالقرآن والآثار، فينكرون موت عيسى أشدّ الإنكار، وعلى حياته يصرّون. وتلك كلمة بها يموتون. فاجتنبْ ذلك إن كنت من الذين يؤمنون بالفرقان ولا يكفرون. ولا تكنْ كمثل الذين تركوا كلام الله وراء

ظهورهم فلا يبالون.

ويقولون إن المسلمين أجمعوا على حياته.. كلا، بل هم يكذبون. وأين الإجماع وفيهم المعتزلُون؟ وإذا قيل لهم ألا تفكّرون في قول ربّكم: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أو به لا تؤمنون؟ فليس جوابهم إلا أن يحرّفوا آيات الله ويقولوا إنّ معنى التوفّي رفْع الروح مع الجسم العنصريّ.. انظرْ كيف عن الحقّ يعدلون! ويعلمون أن هذا القول قول يجيب به عيسى بحضرة العزّة يوم القيامة إذ يسأله الله عن ضلالة الأمّة، وكذلك في الفرقان تقرؤون. فعجبت، والله، كلّ العجب من شأنهم، ومن عقلهم وعرفانهم! ألا يعلمون أنه ما كان لبشر أن يحضر يوم النشور، من قبل أن يُقبَض روحه ويكون من أصحاب القبور؟ ما لهم لا يتدبّرون؟ وقد حثا الصحابة التراب فوق خير البريّة، ومزاره موجود إلى هذا الوقت في المدينة المنوّرة. فمِن سوء الأدب أن يقال إن عيسى ما مات، وإنْ هو إلا شرك عظيم.. يأكل الحسنات ويخالف الحصاة. بل هو تُوفّي كمثل إخوانه، ومات كمثل أهل زمانه. وإنّ عقيدة حياته قد جاءتْ في المسلمين من الملّة النصرانية، وما اتّخذوه إلهًا إلا بهذه الخصوصية، ثم أشاعها النصارى ببذل الأموال في جميع أهل البدْو والحضر، بما لم يكن أحد فيهم من أهل الفكر والنظر. وأما المتقدّمون من المسلمين فلم يصدر منهم هذا القول إلا على طريق العثار والعثرة، فهم قوم معذورون عند الحضرة، بما كانوا خاطئين غير متعمّدين.

وما أخطأوا إلا من وجه الطبايع الساذجة، والله يعفو عن كلّ مجتهد يجتهد بصحّة النيّة، ويؤدّي حقّ التحقيق من غير خيانة على قدر الاستطاعة. إلا الذين جاءهم الإمام الحَكَم مع البيّنات من الهُدى، وفرّق الرُّشد من الغيّ وأظهر ما اختفى، ثم أعرضوا عن قوله وما وافَوا دروب الحقّ بل منعوا من وافى. وخالفوه وماتوا على عناد وفساد كالعدا، وفرحوا بهذه ونسوا غدا. أينكرون ما أنذر الله به، ولا يجاوزون حَدَّ مصرعهم إذا القدر أتى، وترى كلُّ نفس ما عمل من الهوى؟ ومن أتى الله بقلب سليم فنُجّي من اللّظى، وأمّا المعرض الأثيم فله الجحيم، لا يموت فيه ولا يحيا. وإنّا نُصبح ونمسي في هذا الانتظار، ونُجيل طَرْفَنا في كلّ طرفةٍ إلى الأقدار. وإن عذاب الله قد قرع بابكم، وكسّر أنيابكم، أفلا تنظرون؟ وإن نفوسكم قد قربتْ أسدَ الممات في الفلوات، فأَعدّوا لها حصنَ النجاة، ولا تهلكوا أنفسكم بأيديكم أيها الغافلون. إن حياتكم بالإيمان والدين، لا بالرُّغفان والماء المعين. وإذا ذهب الدين فلا حياة، والذي ضاع دينه يشابه الأموات. وترون أنّ الكُفر كسّر ضلوع الإسلام، وما بقي منه إلا اسم على أَلْسُنِ العوامّ. ووالله، إنّ هذا الأسد قد جُرّح من الكلاب، ورضي من الافتراس بالإياب، وقعد من الفُلْك بمثابة الهُلْك، ولذلك مسّكم من كلّ طرفٍ ضرّ، وعيش مرّ، والآفات اختارتْكم صَحْبًا، كأنها وجدتْ فناءكم رَحْبًا، وإنكم تحتها كلّ يومٍ تكسَّرون. وترون أنّ

الآفات تنــزل عليكم تَتْرًا، وتبتُر بَتْرًا، ولا تسقط عليكم آفة إلا وهي أكبر من أُختها، ثم لا تخافون. وقد رأيتم ما نــزل من الآفات، وبعضها نازل بعدها في أسرع الأوقات، فتوبوا إلى بارئكم لعلكم تُفلحون. وكيف ترجى منكم التوبة وما تأتيكم آيةٌ إلا عنها تُعرِضُون؟ فسوف تأتيكم أنباءُ ما كنتم به تستهزئون.

ومن الآفات أن قومًا يدعونكم إلى الكفر، إطماعًا في نجار الصُّفْر، ويعرِضون ذهبًا على كلّ ذاهبٍ لعلهم يتنصّرون. وإنهم أولو الطَّول وأنتم الفقراء، وفُتح عليهم أبواب الدنيا وأنتم في البؤس تصبحون وتُمسُون. وتلك فتنة أكبر من كلّ فتنة، وبليّةٌ أشدّ من كلّ بليّة، فإنكم تحتاجون إلى رُغفانهم وهم لا يحتاجون. وحلّوا أرضكم وملكتْها ملوكهم، فلا بدّ من تأثّرٍ كما تشاهدون.

ثم من إحدى المصائب أنّ أمراءكم على الدين يستهزئون، وفقراءكم على الدنيا يتجانؤون، فلا نجد قرّة العين من أولئكم ولا من هؤلاء، وإنّا من كلٍّ آئسون. وسَرّحْنا الطرْف في الطرفين، فأَخَذَنا ما يأخذ السقيم عند آثار الــمنون. وما كان لكافرٍ أن يهزمكم، ولكن ذنوبكم هزمتْكم، وتركتم الحضرة وكذلك تُتركون. وإنّ الله نظر إلى قلوبكم، فما آنس فيها تُقاةً، فسلّط عليكم قومًا عُصاةً، وأعطاهم لتعذيبكم قناة، فهل أنتم منتهون؟

﴿إنَّ اللهَ لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[1]، فهل أنتم مغيّرون؟ و﴿ما يفعل الله بعذابكم إنْ شكرتم وآمنتم﴾[2]، فهل أنتم مؤمنون؟ أأنتم تظنّون أنكم أحياءٌ بهذا الذنب الدائم، والموت خير للفتى من عيشه عيش البهائم، فما لكم لا تتنبّهون؟

وإنّ النصرانية تأكُلكم كلّ يوم كما تأكل النار الحطب، ليتمّ ما قدّر الله وكتب. ووالله، إن هذا الوباء أكبر من كلّ وباءٍ، وهذه الزلزلة أكبر من كلّ زلزلة، وما نـزل عليكم ما نـزلَ إلا من ذنوبكم أيها الفاسقون. وإن الآفات الجسمانية لا تُهلك إلا جسمًا، وأما الآفات الروحانية فيُهلك[3] الجسم والروح والإيمان معًا. فلا تسبّوا أعداءكم، وسُبّوا أنفسكم إن كنتم تعقلون.

ما لكم لا تنظرون إلى السماء، وصرتم بني الغبْراء، وإن الله عرض عليكم حليب الدين فأنتم تعافون، ثم قدّم قومٌ إليكم لحمَ الخنازير فأنتم بالشوق تتمشّشون. ومن دخل منهم في دينكم فلا يدخل إلا كأهل النفاق، ويطوف طامعًا في الأسواق، مُكْدِيًا بالأوراق، وهم يكثرون وأنتم تقلّون. فإلام هذه الحياة أيها الجاهلون؟ تتمـايلون على أموال الدنيا، وما تبصرون من أين تقتنئون. وترون الخـوان وما ترون المُضلّ الخوّان، كأنكم قوم عمون. وتتركون العِشـاء،

---

[1] سورة الرعد: ١٢ [2] سورة النساء: ١٤٨

[3] هكذا ورد في الأصل ويبدو أنه سهو، والصحيح: "فتُهلِكُ"، حيث وردت الكلمة نفسها بصورة صحيحة في الجملة السابقة. (الناشر)

وبالندامى تَغْتَبِقُون. وتعيشون كُسالى، ولا تمسّون الدين بإصبع ولا له تتألّمون. ثم تقولون إنّا بذلنا الجهد حقّ الجهد وإنّا مستفرغون. فكّروا يا فتيان، ألم يأن أن يرسل الله إمامًا في هذه العمران؟ وإنكم تنقضون عهد الله وتقطعون ما أمر الله به أن يوصل وفي الأرض تفسدون. ووالله، إن الوقت هذا الوقت فما لكم لا تتقبّلون؟

وإني، والله، في هذا الأمر كعبة المحتاج، كما أن في مكّة كعبة الحجّاج، وإني أنا الحجر الأسود الذي وُضع له القبول في الأرض والناس بمسّه يتبرّكون*. لعن الله قومًا يقولون إنه يريد الدنيا، وإنّا من الدنيا مُبْعَدون. وجئتُ لأُقيم الناس على التوحيد والصلاة، لا لإقناء أنواع الصِّلات. والله يعلم ما في قلبي، ويشهد بآياته أنهم كاذبون. ما كان حديث يفترى، بل جئت بالحق، وبالحق أرسلت، فما لكم لا تعرفون. وإني أنا ضالّتكم، لا مضلّكم أيها المسلمون. فهل فيكم من يقبل دعوتي، وينظر بحسن النظر إلى كلمتي؟ أليس فيكم رجل رشيد أيها المستكبرون؟ ولو لم أُبْعَثْ، يا فتيان، في هذا الزمان، لوطّأ الدِّينَ أهلُ الصلبان. وإن هذا السيلَ بلغ الرؤوس، وأفنى النفوس، أَلا تعلمون القسوس كيف يُضلّون؟ وما أُرسلتُ إلا عند ضلالٍ نجّس الأرض وأهلك أهلها، فما لكم لا تفهمون؟ ووالله، ليس في الدهر أعجب من حالكم! كيف طال

* هذا خلاصة ما أوحى الله إليّ، وهذه استعارة من الله الكريم. وكذلك قال المعبّرون أن المراد من الحجر الأسود في علم الرؤيا المرء العالم الفقيه الحكيم. منه.

إعراضكم وصَفْحُكم عني، وقد رأيتم الآيات وأُعطيتم البيّنات فنبذتموها كالحصاة. وفُتح لكم باب الحسنات، فغلّقتم أبوابكم، لئلا تدخل في العرصات. ما لكم لا تتّقون حرمات الله وللتكذيب تعجلون؟ وإن الله سيّاف يسلّ سيفه على الذين يعتدون.

وإني أنا المسيح الموعود، وأنتم تكذّبونني وتسبّون، وتقولون إنّ هذا الدعوى باطلٌ وقولٌ خالفه الأوّلون. فأعجبني قولكم هذا مع دعاوي العلم والفضل! أتقولون ما يخالف القرآن وأنتم تعلمون؟ وإن دعوى الإجماع بعد الصحابة دعوى باطل وكذب شنيع لا يصرّ عليه إلا الظالمون. وأنّى الإجماع؟ أتنسون ما قال المعتزلون؟ أتزعمون أنهم ليسوا من المسلمين وأنتم قوم مسلمون؟ فثبت أن قولكم ليس قولاً واحدًا، بل ادّارءْتم فيها، فالآن يحكم الله فيما كنتم فيه تختلفون.

وعندي شهادات من ربي وآيات رأيتموها أأنتم تنكرون؟ إن الذين خلوا من قبلي لا إثم عليهم وهم مبرّؤون، والذين بلغتْهم دعوتي، ورأوا آياتي، وعرفوني وعرّفْتُهم بنفسي، وتمّتْ عليهم حُجّتي، ثم كفروا بآيات الله وآذوني.. أولئك قوم حقّ عليهم عقاب الله، بأنهم لا يخافون الله، وبآي الله ورسله يستهزئون. وما جئتهم من غير بيّنة، بل أراهم ربي آيةً على آية، ومعجزة على معجزة، وأقيمت الحجّة، وقُضي التنازع والخصومة، ثم على الإنكار يصرّون. أيحاربون الله بما أنه جعلني المسيح الموعود

والمهدي المعهود، وله الأمر ولــه الحكم، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون. وتنحّى بعضهم عن هذا النــزاع خجلاً وجلاً ورجعــوا إليّ تائبين، وأكثرهم قاسطون.

أيصرّون على حياة عيسى، ويخفون إجماعًا اتفق عليه الصحابة كلّهم أجمعون؟ ويتّبعون غير سبيل قوم أدركوا صحبة رســول الله ﷺ، وكلّ واحدٍ منهم استفاض من النبيّ وتعلّمَ، وانعقد إجماعهم على موت عيسى، وهو الإجماع الأوّل بعد رســول الله ويعلمــه العالمون. أنسيتم قول الله: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسل**﴾[1] أو أنــتم للكفر متعمّدون؟ وقد مات على هذا الإجماع مــن كــان مــن الصحابة، ثم صرتم شيعًا، وهبّتْ فيكم ريح التفرقة، وما أوتيــتم سلطانًا على حياته، وإن أنتم إلا تظنّون. وقد قال الله حكايةً عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، فلا تفكّرون في قول الله ولا تتوجّهون. ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾[2]، أو تقولون ما لا تعلمون؟

ثم اعلموا أنّ حقّ اللفظ الموضوع لمعنى أن يوجد المعنى الموضوع له في جُمْعِ أفراده من غير تخصيص وتعيين، ولكنكم تخصّصــون عيسى في المعنى الموضوع للتوفّي عندكم، وتقولون لا شريك له في ذلك المعنى في العالمين، كأنّ هذا المعنى تولّد عند تولّد ابن مــريم، وما كان وجوده قبله ولا يكون بعده إلى يوم الدين! وهَبْ، يــا فتى، أن عيسى لم يتولّدْ ولم يُرزَق الوجود من الحضرة، فبقي هذا

[1] *سورة آل عمران:١٤٥* [2] *سورة البقرة: ١٤١*

اللفظ كعاطلٍ محرومة من الحلية. فتفكّرْ ولا تُرِنا الأنياب، واتّق الله التوّاب. أتزعمٍ أنّ هذا المعنى بساطٌ ما وطّأه إلا ابن مريم، أو سِماطٌ ما أَمَّهم إلا هذا الملك المكرّم؟

ولو فرضْنا أن معنى التوفّي في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ ليس إلا الرفع مع الجسم العنصريّ إلى السماء، ثم مع فرض هذا المعنى يكذّب هذه الآية نزول عيسى إلى الغبْراء، ولا يحصل مقصود الأعداء، بل يبقى أمر عدم النزول على حاله كما لا يخفى على العقلاء. فإن عيسى يجيب بهذا الجواب يوم الحساب يعني يقول: ﴿فلما توفّيتني﴾ في يوم يبعث الخلق ويحضرون، كما تقرؤون في القرآن أيها العاقلون. وخلاصة جوابه أنه يقول إني تركتُ أمّتي على التوحيد والإيمان بالله الغيور، ثم فارقتهم إلى يوم القيامة وما رجعتُ إلى الدنيا إلى يوم البعث والنشور، فلذلك لا أعلم ما صنعوا بعدي من الشرك والفجور، ولستُ من الملومين. فلو كان رجوعه إلى الدنيا أمرًا حقًّا قبل يوم القيامة فيلزم منه أنه يكذب كذبًا شنيعًا عند سؤال حضرة العزّة. وهذا باطلٌ بالبداهة. فالنزول باطلٌ من غير الشكّ والشبهة.

فاستيقظوا يا فتيان! أين أنتم من تعليم القرآن؟ بل مات عيسى كما ماتتْ إخوانه من النبيّين، ولحق بهم كما تقرؤون في أخبار خير المرسلين. أقرأتم في حديث سيّد الكائنات أنه في السماء في حجرة على حدة من الأموات؟ كلا.. بل هو ميّت، ولا يعود إلى

الدنيا إلى يوم يبعثون. ومن قال متعمّدا خلاف ذلك فهو من الذين هم بالقرآن يكفرون. إلا الذين خلوا مِن قَبْلي فهم عنـــد ربهـــم معذورون.

ويشهد القرآن أنه يقول يوم القيامة إني ما كنت مطّلعًا علـــى ارتداد الأُمّة، ولا أعلم أنهم اتّخذوني إلها مـــن دون ربّ البريّـــة، وكذلك يبرّئ نفسه من علم فساد النصارى ووقوعهم في الضلالة. فلو كان نازلاً قبل القيامة لكان من شأنه أن يصدق بحضـــرة الله كما هو طريق البررة، بل هو من حُلل الرسالة والإمامة. فكيـــف يُظَنّ أنه يختار الكذب ويرتكب جُرْم إخفاء الشهادة، ويقول: يـــا ربّ، ما عُدتُ إلى الدنيا، وليس لي علم بأحوال أُمّتي، ولا أعلم ما صنعوا بعدي. فإن هذا كذب شنيع تقشعرّ منه الجلدة، وتأخذ منه الرعدة*. ولو فرضنا أنه يقول كمثل هذه الأقوال، ويخفي متعمّدًا زمن عوده إلى الدنيا عند سؤال الله ذي الجلال، ويُخفي حقيقـــة اطّلاعه على كفر أُمّته وإصرارهم على طريق الضلال، فلا شكّ أن الله يقول لـــه: يا عيسى، ما لك لا تخاف عزّتي وجلالي، وتكذب أمام وجهي عند سؤالي؟ ألستَ ذهبت إلى الدنيا عند رجْعتـــك،

*روى الإمام البخاري عن المغيرة بن النعمان قال، قال رسول الله ﷺ: إنه يجاء برجـال من أمّتي (يعني يوم القيامـة)، فيؤخـذ بهـم ذات الشـمال، فـأقول: يـا ربّ أصـيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصـالح (يعـني عيسـى): وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمْتُ فيهم فلمّا تَوَفَّيتني كنـت أنـت الرقيـب علـيهم. وكـذلك روى البخاريّ في معنى التوفّي عن ابن عباس قال: متوفّيك: مميتك. منه.

وأعثرت على شرك أمّتك؟ ألم تر الذين اتّخذوك إلها انتشـــروا في جميع البلاد، ونسلوا من كلّ حدب كالجياد، وأنـــت حاربْتـــهم وكسرت صليبهم بجهدك وطاقتك، ثم تنكر الآن من نـــــزولك، فأعجبني كذبك وفريتك!

فخلاصة الكلام أنّ قولكم برفع عيسى باطل، ومضرّ للدين كأنه قاتل.

وتقولون: لفظ الرفع في القرآن موجود. نعم، موجود، ولكـــن معناه مِن لفظ ﴿متوفّيك﴾ مشهود، بل جميع كَلِمِ الآية على الرفع الروحاني شهود. أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ أهـــذا إسلامكم أو كفر وعنود؟ أو تريدون أن تحرّفوا كتاب الله كمـــا حرّف اليهود؟ ألا ترون أن لفظ ﴿متوفّيك﴾ مقدَّم على لفظ الرفع وفي القرآن موجود؟ فما لكم تتركون رعاية الترتيب، وتختارون ما يضرّكم، وتعرضون عما ينفعكم، وتجاوزون الحدود؟ ألم يَـــنْهَكم الله أن تحرّفوا معنى القرآن، ولا تتّبعوا سبل الشـــيطان؟ ووالله، ثم والله، ما صرفكم عن الحقّ إلا التعصّب والعناد، وحسبتم الفســـاد الكبير كأنّ فيه رفْع الفساد.

وتقولون لي: أنت كَفّرت أهل القبلة، وخالفت قـــول خـــير البريّة. يا سبحان الله! كيف نسيتم فتاواكم بهذه العجلـــة؟ ومـــا ابتدرنا بالتكفير وما بدأْنا بالتحقير. أما أشعتم كُفْرنا في هذه الديار وفي الآفاق، وفي السِّكَكِ والأسواق؟ أنسيتم قرطاس الإفتاء، ومـــا

قلتم وما تقولون بترك الحياء؟ وجاهدتم كُلّ الجهد لتنقضوا ما عقدْنا، ولتبطلوا ما أردْنا، وكذلك مكرتم كلّ المكر إلى عشرين حجّةً بل أزيد من ذلك عِدّة، وأثرتم من كلّ نوعٍ فتنةً، وقُلتم كلّ ما أردتم في شأني من السبّ والشتم، ثم أشعتموه في الأغيار والأحباب، كأنكم مبرَّؤون من المؤاخذة والحساب. ولكن الله أتمّ نورًا أردتم إطفاءه، وملأ بحرًا تمنّيتم أن تغيض ماؤه، ودعوتم لنا أرضًا جدبة، فآوانا الله إلى ربوة*، ووادٍ خضر وروضة، ورزقنا نعماء وآلاء وبركات ما رأيتموها ولا آباؤكم. أهذا جزاء الفرية؟ أعَثرْتم على مثله في زمان من الأزمنة؟

فاعلموا، رحمكم الله، أن صدق دعواي وموت عيسى ما كان أمرًا متعسّرَ المعرفة، ولكن طوّعَتْ لكم أنفسكم تكذيب إمامكم، فزاغت قلوبكم، وما فكّرتم حقّ الفكرة. وقد جئتكم بالآيات والشواهد والبيّنات، وقد فتح الله عليّ أمرًا أخفاه عليكم في ابن مريم، وذلك فضله أنه فهّمني أمرًا ما أعثركم عليه وما فهّم. أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا

* قد قال الله ﷻ في القرآن: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾، ولمّا جعلني الله مثيل عيسى جعل لي السلطنة البرطانية ربوةَ أمنٍ وراحةٍ ومستقرًّا حسنًا. فالحمد لله مأوى المظلومين. ولله الحِكَم والمصالح، ما كان لأحدٍ أن يؤذي من عصمه الله، والله خير العاصمين. منه.

من آياتنا عجبًا[1]. إن الله أخفانا من أعينكم إلى قـــرون، وأَسْـــبَلَ عليها حجبا، فكنتم تنتظرون نـــزول المسيح من السماء، وصرف الله أفكاركم عن الحقيقة الغرّاء، ليظهر عليكم عجزكم في أسرار حضرة الكبرياء. ذلك من سنن الله ليعلّمكم أدبًا عنـــد إظهـــار الآراء. فما تشابه الأمر عليكم إلا من فتنة أراد الله ليبتليكم بهـــا، فأظهرها بعد هذا الإخفاء.

وأيّ ذنب أكبر من ذلك أن الله يخبر في القرآن بموت عيســـى ويخبر بأن عيسى يقرّ يوم القيامة بموته قبل كُفْر أمّته وعدم علْمه به كما مضى، والنبيّ يقول إني رأيته ليلة المعراج في الموتى عند يحيى، ثم أنتم ترفعونه مع الجسم إلى السماء؟ فما رأينا أعجب من هذا! فما لكم لا تفقهون حديثا؟ وإنّ قولي قولٌ فيصل، فلن تجدوا عنه محيصا. تصرّون على حياته، ولا تؤتون عليه دليلا، ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾[2]؟

وليس جوابكم من أن تقولوا إنّ آباءنا كانوا على هذا الاعتقاد، وإن كان آباؤكم عدلوا عن طريق السداد. وأيّ شيءٍ خيـــالاتُ

---

[1] هذا ما أوحى إليّ ربي بوحي القرآن◎، وكذلك أخفاني ربي كما أخفى أصحاب الكهف، وإن ذلك من سنن الله أنه يخفي بعض أسراره من أعين الناس ليعلموا أن علمهم قاصر، وليبتلي الله عباده، وليرى المؤمنين منهم والمجرمين. منه.

◎ *اعلم أنه ليس المراد من قوله عليه السلام "بوحي القرآن" هنا أن جميع كلمات هذا الوحي متطابقة لما ورد في القرآن، بل المراد أن الوحي المذكور - كما يتضح ذلك من كتابات أخرى لسيدنا أحمد عليه السلام - قد نـزل عليه بأسلوب القرآن وبمعظم كلماته. (الناشر)*

[2] *سورة النساء: ١٢٣*

أُناسٍ ظهروا بعد الصحابة بل بعد القرون الثلاثة؟ وما كان حقّهم أن يُؤَوّلوا أنباء الله قبل وقوعها، بل كان من حسن الأدب أن يفوّضوا إلى الله مجاري ينبوعها، وكذلك كانت سيرة كبراء الأمّة. إنهم كانوا لا يصرّون على معنى عند بيان الأنباء الغيبية، بل كانوا يؤمنون بها ويفوّضون تفاصيلها إلى عالم الحقيقة. وهذا هو المذهب الأحوط عند أهل التقوى وأهل الفطنة. ثم خلَف مِن بعدهم خلفٌ جاوزوا حدّ علمهم وحدّ المعرفة، ونسوا ما قيل: ﴿لا تَقْفُ ما ليس لك به علم﴾[1] وطفَروا في كلّ موطن طَفْرَ البقّة، وأصرّوا على أمرٍ ما أحاطوه حقّ الإحاطة. يا حسراتٍ عليهم وعلى جرأتهم! قد أصابت الملّة منهم صدمةٌ هي أُختٌ صدمة النصرانية، وما هم إلا كجذْب لسنوات الملّة. يرفعون عيسى مع جسمه إلى السماء، ولا يتدبّرون قوله تعالى: ﴿قُلْ سبحان ربّي﴾[2] بل يزيدون في البغض والشحناء.

يا فتيان.. أين أنتم من تلك الآيات، ولِمَ تتّبعون ما تشابه من القول وتتركون البيّنات المحكمات؟ ألا تعلمون أن الكفّار طلبوا في

---

[1] *سورة الإسراء: ٣٧*

[2] أعني آية: ﴿قُلْ سبحان ربّي هَلْ كُنتُ إلا بشرًا رسولاً﴾،* فلا شك أن هذه الآية دليل واضحٌ على امتناع صعود بشر إلى السماء مع جسمه العنصريّ، ولا ينكره إلا الجاهلون. وفي قوله تعالى: ﴿سبحان ربّي﴾ إشارة إلى آية: ﴿فيها تحيون وفيها تموتون﴾ ◈ فإن رفع بشر إلى السماء أمرٌ ينقض هذا العهد، فسبحانه وتعالى عما ينقض عهده، ففكّروا أيها العاقلون. منه.

* *سورة الإسراء: ٩٤* ◈ *سورة الأعراف: ٢٦*

هذه الآية معجزة الصعود إلى السماء، من نبيّنا خير الأنبياء وزُبدة الأصفياء، فأجابهم الله أن رفع بشرٍ مع جسمه ليس من عادته، بل هو خلاف مواعيده وسنّته. ولو فُرض أن عيسى رُفع مع جسمه إلى السماء الثانية، فما معنى هذا المنع في هذه الآية؟ ألم يكن عيسى بشرًا عند حضرة العزّة؟ ثم أيّ حاجة اشتدّت لرفعه إلى السماوات العُلى؟ أأَرْهَقَتْه الأرض بضيقها، أو ما بقي مفرّ من أيدي اليهود فيها، فرُفع إلى السماء ليُخفى؟

أيُّها الناس.. لا تجاوزوا حدود النهج القويم، وزِنوا بالقسطاس المستقيم. ووالله، إن موت عيسى خير للإسلام من حياته، وكلّ فتح الدين في مماته. أتستبدلون الذي هو شرّ بالذي هو خير، ولا تُفرّقون بين النفع والضَّير؟ ووالله، لن يجتمع حياة هذا الدين وحياة ابن مريم، وقد رأيتم ما عَمَّرَ حياتُه إلى هذا الوقت وما هدّم، وترون كيف نصَر النصارى حياتُه وقدّم، وجرّح الدينَ الأقوم. ولما ثبت ضيره فيما بين يدينا، فكيف يُتوقّع خيره فيما خَلْفَنا؟ وإذا جرّبنا إلى طول الزمان مضرّات حياته، فأيّ خير يرجى من هذه العقيدة بعد ذلك مع ثبوت معرّاته؟ والعاقل لا يعرض عن مجرّباته. وإن الله يوافي دروب الحكمة، ويرحم عباده ويعصمهم من أبواب الضلالة. ولا شكّ أنّ حياة عيسى وعقيدة نزوله باب من أبواب الإضلال، ولا يتوقّع منه إلا أنواع الوبال. ولله في أفعاله حِكم لا تعرفونها، ومصالح لا تمسّونها. ففكّروا، رحمكم الله.. إن عقيدة

حياة عيسى كما تصرّون عليه إلى هذا الآن، ثم عقيدة نزوله في آخر الزمان، أمرٌ ما أفادكم مثقال ذرّة، وما أيّد ديننا الذي هو خير الأديان، بل أيّد دين النصارى وأدخل أفواجا من المسلمين في أهل الصّلبان. فلا أدري أيّ حاجة أحسستم لنزوله يا معشر المسلمين؟ وإن حياته يضرّكم ولا ينفعكم. أما رأيتم ضررًا فيما مضى من السنين؟ أنفعتْكم هذه العقيدة فيما مرّ من الزمان؟ بل ما زادتْكم غير تتبيب وارتداد الرجال والنسوان. فأيّ خير يُرجى منه بعده يا فتيان؟ ورأيتم المتنصّرين ما جُذبوا إلى القسيسين إلا بهذه الحبال، وهذا هو اللصّ الذي ألقاهم في بئر الضلال. وكانوا ذراري هذه الملّة، ثم صاروا كالحيوات أو كسباع الأجمة. وعادَوا الإسلام وسبّوه بأنْكرِ أصواتِ نهيقٍ، وتركوا أقاربهم ووالديهم في زفيرٍ وشهيق، ووقفوا نفوسهم على سبّ خير البريّة وتوهينِ كتابٍ هو أكمل من الكتب السابقة، وقالوا: قريضٌ، وأيّ رجلٍ منه مستفيض؟ واتّخذوا ديننا سُخرة، ولا يذكرونه إلا طعنة. وقالوا إنْ متُّم على هذا الدين دخلتم النار باليقين.

فاعلمْ، وفّقك الله للصواب، وجنّبك طرق العتاب، أنّ هذه الفتنة التي حسبتموها هيّنًا هي عند الله عظيم، وقد أهلكت أفواجًا منكم وأدخلتها في نار الجحيم، ولذلك ذكرها الله سبحانه وتعالى في مواضع من كتابه الكريم، ونسب إليها تفطُّرَ السماء وخرَّ الجبالِ وظهور آثار الغضب العظيم. فوالله، إني أعجب كلّ العجب من أنّ

المسلمين نصروا النصارى بقول يخالف قول حضـــرة الكبريـــاء، وقالوا إنّ عيسى رُفع مع جسمه العنصريّ إلى السماء، ثم ينـــزل في زمانٍ إلى الغبراء. وهذا هو الدليل الأعظم عند النصارى علـــى اتّخاذه إلـــهًا، وبه يُضلّون كثيرًا من الجُهلاء. والحقُّ أنـــه مـــات ولحق الأموات، وعلى ذلك دلايل كثيرة من الكتاب والسنّة، وقد ذكر القرآن موته في المقامات المتعدّدة، ورآه نبيّنا ﷺ في الموتى ليلة المعراج عند يحيى في السماء الثانية. وأيّ شهادة أكبر وأعظم مـــن هذه الشهادة؟ ثم مع ذلك يصول الجهلاء عليّ عند سمـــاع هـــذه الكلمة، ويقولون: لو كان السيف لقتلْناك. وإن سيف الله أَحَدُّ من سيوف هذه الفرقة. ألم ير بعضهم ضرْب سيفه عند المباهلة؟ وقد تكرّر في القرآن ذكر موت عيسى، وذكر إيوائه إلى ربـــوةٍ ذات قرار ومعين. وثبت بدلايل أُخرى أنها أرض "كـــاشمير" بـــاليقين. ووُجد فيها قبر عيسى، ووجد هذه القصّة في كتب قديمة لا بدّ من قبولها، وحصحص الحقّ، فالحمد لله ربّ العالمين. وشهد ســـكّان هذه الأرض أنه قبر نبيّ كان من بني إسرائيل، وكان هـــاجر إلى هذه الأرض بعد إيذاء قومه، ومرّ عليـــه قريـــب مـــن الألفـــين بالتخمين.

فملخّص الكلام أنّ موت عيسى ثابت بالبرهان، ولا ينكره إلا من أنكر نصوص الحديث والقرآن. ولو شاء الله لفهّم من أنكره، ولكنّه يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء، وإليـــه يرجعـــون. وإنْ

يتّبعون إلا ظنًّا، وما نرى في أيديهم حُجّة بها يتمسّكون. والتمسّك بالأقوال الظنية تجاه النصوص التي هي قطعيّة الدلالة خيانة وخروج من طريق التقوى. فويلٌ للذين لا ينتهون.

سيقول الذين لا يتدبّرون إن عيسى علم للساعة: ﴿وإنْ من أهل الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبل موته﴾[1]، ذلك قول سمعوا من الآباء، وما تدبّروه كالعقلاء. ما لهم لا يعلمون أن المراد من العلم تولّده من غير أبٍ على طريق المعجزة، كما تقدّم ذكره في الصحف السابقة، ولا ينكره أحد من أهل العلم والفطنة. وأما إيمان أهل الكتاب كلّهم بعيسى كما ظنّوا في معنى الآية المذكورة، فأنت تعلم حقيقة إيمانهم، لا حاجة إلى التذكرة. وتعلم أنّ أفواجًا من اليهود قد ماتوا و لم يؤمنوا به، فلا تُحرِّفْ كلام الله لعقيدة هي باطلة بالبداهة. وقد قال الله تعالى: ﴿أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾[2]. فكيف العداوة بعد الإيمان بعيسى؟ ألم يبق في رأسكم ذرّة من الفطنة؟ أليس في هذه الآية ردٌّ على من زعم أن جميع فرق اليهود يؤمنون بعيسى؟ فما لكم تخالفون النصّ الذي هو أظهر وأجلى؟ فأيّ آية بقيتْ في أيديكم بها تتمسّكون؟ فأعجبني حالكم! بأيّ دليل تخاصمون؟

وإن الله ذكر موت عيسى غير مرّة في القرآن، فما لكم لا تتذكّرون؟ ويستحيل التناقض في كلام الله ربّ العالمين. ما لكم

[1] *سورة النساء:١٦٠* [2] *سورة المائدة: ٦٥*

إنكم تعاندون المعقول، وتكذّبون المنقول، ونَعرض عليكم كــلام الله ثم تمرّون معرضين. وتعلمون أنّ نــزول المسيح الموعود بدون تخصيصٍ أمرٌ نؤمن به وتؤمنون به من غير خلاف. فأصل النــزاع بيننا وبينكم في نزول ابن مريم من الســماء، فقضــى الله هــذا النــزاع بإخبار موته في صُحفه الغرّاء. فمن يُــرِدِ الله أن يهديــه يشرَحْ صدره لبيان القرآن. وأيّ كتاب عندنا أو عندكم يُتمسّك به بعد الفرقان؟

يا حسراتٍ عليكم.. لا تحضرون للمناظرة ولا تجيئون للمباهلة، ومِن بعيد تطعَنون. وعندنا دلائل كثيرة من كتــاب الله وســنّة رسوله فكيف نَعرض على الــذين يُعرضــون؟ ألا يعلمــون أن المبتدعين والكافرين لا يؤيَّدون من الله ولا هم يُنصرون؟ ولا قبول لهم عند الله، ولا هُم كالأبرار يؤثَرون؟ وأيّ ذنب ينسبون إليّ من غير أني نعيت إليهم بموت عيسى، وقد ماتتْ من قبلــه النبيّــون. أيُعرضون عن الإجماع المستند إلى النصّ الجَليّ، أم هم الحاكمون؟ والله، إن عيسى مات، وإنهم يعاندون الحقّ الصريح، ويقولون مــا يخالف القرآن وما يخافون. وأيّ إشكال يأخذهم في موت عيسى، بل هم قوم مسرفون. يخصّصونه بصفة لا توجد في أحد من الناس، ويؤيّدون النصارى وهم يعلمون. وكيــف تقبــل غــيرةُ الله أن يُخصَّص أحد بصفة لا شريك له فيها من بدء الدنيا إلى آخرهــا، وأيّ عقيدة أقرب إلى الكفر منها، لو كــانوا يتــدبّرون. فــإن

التخصيص أساس الشرك، وأيّ ذنب أكبر من الشرك أيّها الجاهلون؟

وإذ قالت النصارى إن عيسى ابن الله بما تولّد من غير أب، وكانوا به يتمسّكون، فأجابهم الله بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾*، ولكننا لا نرى جوابَ خصوصيةِ رفعِ عيسى ونزوله في القرآن، مع أنه أكبر الدلايل على ألوهيّة عيسى عند أهل الصُّلبان. فلو كان أمر صعود عيسى وهبوطه صحيحًا في علم ربّنا الرحمن، لكان من الواجب أن يذكر الله مثيل عيسى في هذه الصفة في الفرقان، كما ذكر آدم ليبطل به حُجّة أهل الصلبان. فلا شك أن في ترك الجواب إشعار بأن هذه القصّة باطلة لا أصل لها وليس إلا كالهذيان. أتعلمون أيّ مصلحة منعت الله من هذا الجواب؟ وقد كان حقًّا على الله أن يجيب ويجيح زعم النصارى بالاستيعاب.

وإن علماء النصارى قوم يزيدون كلّ يوم في غلوّهم، ولا يلتفتون إلى الحقّ من تكبّرهم وعلوّهم. وإني أتممت عليهم حجّة الله لتأييد الإسلام، وألّفت فيها كُتبًا وأشعتها إلى ديار بعيدة لنفع الأنام. فلمّا جرّ الجدال فينا ذيله، وما رأيت أحدًا أن يُظهر إلى الإسلام ميله، فهمت أن الأمر محتاج إلى نصرة الله المنّان، ولست بشيءٍ حتى يدركني رحمة الرحمن. فخررت على الحضرة سائلاً

---

* *سورة آل عمران:٦٠*

للنصرة، وما كنت إلا كالميّت. فأحياني ربي بالكلمتين، ونَوّر العينين، وقال: يا أحمدُ بارك الله فيك. الرّحمن علّم القرآن. لتنذر قومًا ما أُنذرَ آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمرت وأنا أوّل المؤمنين*. وبشّرني بأنّ الدّين يُعلى ويشاع، ومثلك دُرٌّ لا يضاع. وكان هذا أوّل ما أوحيَ إلى هذا الحقير، من الله القدير النصير. وبشّرني ربي بأنه يُظهر لي آيات باهرات، وينصرني بتأييدات متواترات، ليحقّ الحقّ ويُبطل الباطل، بالحجج القاهرة، والمعجزات الباهرة.

ثم بعد ذلك دعوتُ القسّيسين والنصارى والمتنصّرين وغيرهم من البراهمة والمشركين، وقلت: جرِّبوا الحقّ بآيات الله ونصرته، ليظهر من يُنصر من الله ومن يكون محلّ لعنته. فما بارزوا لهذا

* إن الأعداء من أهل القبلة يسمّونني أوّل الكافرين، فسبق القول من الله لردّهم في كتابي "البراهين"، وقال: قُلْ إني أُمرتُ وأنا أوّل المؤمنين. وقالوا لا يُدفن هذا الرجل في مقابر المسلمين، فسبق القول من الرسول لردّهم، وقال إن المسيح الموعود يُدفن في قبري، وإنه يُبعث معي يوم الدين. وما كان هذا إلا جواب المكفّرين الذين يحسبونني من أهل جهنم، وإن كنتَ في شكّ فاسأل المفتين. ومن عجائب عالم البرزخ أن بعض الناس بعد موتهم يقرَّبون إلى روضة النبي التي تحتها الجنّة، وبعضهم يُبعَدون منها، فأخبر لي رسولي أني من المقرّبين. وهذا ردّ على من قال إنه من جهنّميين. وهذا الدفن الذي يكمّله الله على الطريقة الروحانية أمرٌ يوجد في كتاب الله وقول رسوله أثره، واتفق عليه طائفة قوم روحانيين.

وكذلك قالوا إن جماعة هذا الرجل قوم كافرون لا من المؤمنين، فلا تدفنوا موتاهم في مقابر المسلمين، فإنهم شرّ الكافرين. فأوحى إليّ ربّي وأشار إلى أرض وقال إنها أرض تحتها الجنّة، فمن دُفن فيها دخل الجنة، وإنه من الآمنين. فلولا أقوال الأعداء ما كان وجود هذه الآلاء. فهيّج غضبهم رحمة الله، فالحمد لله ربّ العالمين. منه.

النضال كالكُماة، واختفَوا في الوُكنات. ووالله، لو بارزوا لما رمى ربي إلا صايبًا، وما رجع أحد منهم إلا خاسرًا وخايبًا.

ووالله، إن فتّشتَ لرأيت الإسلام كَنْـــزَ الآيات ومدينتها، وتجد فيه نورًا يهب لكلّ نفس سكينتها. فيا حسرة على قوم يكفـــرون بدفائنه، ولا يتوجّهون إلى خزائنه، ويحسبون الإســـلام كالعظـــام الرميمة، لا مملوًّا من النعم العظيمة. أولئك قوم لا يؤمنـــون بـــأن يكلّم الله أحدًا بعد سيّدنا المصطفى، ويقولون قد خُتم على المكالمة بعد خير الورى. فكأنّ الله فقد في هذا الزمن صفة الكلام، وبقي صفة السمع فقط! ولعلّه يفقد صفة السمع أيضًا بعد هذه الأيّـــام. وإذا تعطّلتْ صفة التكلّم وصفة سماع الدعوات، فلا يُرْجى عافية الباقيات، أعني عند ذلك ارتفع الأمان من جميع الصفات. فمـــن أنكر أبديّة أحد من صفات حضرة العزّة فكأنما أنكر جميعها ومال إلى الدهريّة. فما تقولون فيه يا أهل الفطنة: هل هو مسلِمٌ أو خرّ من منار الملّة؟

أتظنّون أن الإسلام مرادٌ من قصصٍ معدودة، وليست فيه آيات مشهودة؟ أأعرض عنّا ربّنا بعد وفاة سيّدنا خير البريّة؟ فأيُّ شيءٍ يدلّ على صدق هذه الملّة؟ أنسي الله وعد الإنعام الذي ذكـــره في سورة الفاتحة.. أعني جعْل هذه الأمّة كأنبياء الأمم السابقة؟ ألسنا بخير الأمم في القرآن؟ فأيُّ شيءٍ جَعَلَنا شرَّ الأمم علـــى خـــلاف الفرقان؟ أيجوّز العقل أن نجاهد حقّ الجهاد لمعرفة الله ثم لا نـــوافي

دروبها، ونموت لنسيم الرحمة ثم لا نُرزَق هبوبها؟ أهذا حَدُّ كمال هذه الأُمّة، وقد وافت شمس عمر الدُّنيا غروبها؟ فاعلموا أنّ هـذا الخيال كما هو باطل عند الفطنة التامّة، كذلك هو باطل نظـرًا على الصُّحف المقدّسة.

وأيّ موتٍ هو أكبر من موت الحجاب؟ وأيّ عمًى أشـدّ أذًى من عدم رؤيةٍ وجه الله الوهاب؟ ولو كانت هذه الأُمّة كـالأبكم والأصمّ، لمات العشّاق من هذا الهمّ، الذين يُـذيبون وجـودهم لوصال المحبوب، وما كانت مُنْيتهم في الـدنيا إلا وصـول هـذا المطلوب، فمع ذلك كيف يتركهم حِبّهم في لظى الاضطرار، وفي نار الانتظار؟ ولو كان كذلك لكان هذا القوم أشقى الأقـوام، لا تُسفر صباحهم، ولا تُسمع صياحهم، ويموتون في بكاء وأنـين. كلا.. بل الله أرحم الراحمين. وإنه ما خلق جوعًا إلا خلق معـه طعامًا للجوعان، وما خلق غليلاً إلا خلق معه مـاءً للعطشـان، وكذلك جرت سنّته لطُلباء العرفان. وإني عاينتها فكيف أنكرهـا بعد المعاينة، وجرّبتها فكيف أشكّ فيها بعد التجربة.

ولا بدّ لنا أَنْ ندعو الناس إلى ما وجدناه على وجه البصـيرة. فوجب على كلّ من يؤمن بالله الوحيد، ولا يأنف مـن كلمـة التوحيد، أن لا يقنع بِالأَطْمار، ويطلب السابغات من حلل الدين، ويرغب في تكميل الدثار والشعار، ويقرع باب الكريم بكمـال الصدق والاضطرار. وإنه جوّاد لا يَسْأم من سـؤال النـاس، وإنّ

خزائنه خارجة من الحدّ والقياس. فمن زاد سؤالاً زاد نوالاً. فمِن حُسن الإيمان أن لا ييأس العبد من عطائه، ولا يحسب بابه مسدودًا على أحبّائه. وإنّكم أيّها الناس تحتاجون إلى نعم الله وآلائه، فمن الشقوة أن تردّوا نعمه بعد إعطائه. وأيّ جوعانٍ أشقى من جائع أشرف على الموت، وإذا عُرض عليه طعام لذيذٌ ورغيف لطيف ردّه وما أخذه وما نظر إليه، وهو فَلُّ الجوعِ وطريده، ومع ذلك لا يريده!

فاعلموا أيها الإخوان، رحمكم الله الرحمن.. إني جئتكم بطعام من السماء، وقد حقّق الله لكم آمالكم على رأس هذه المائة، وكنتم تطلبونها بالدعاء، ففتح عليكم أبواب الآلاء، فهل أنتم تقبلون؟ وأعلم أنكم لن ترضوا عني حتى أتّبع عقائدكم، وكيف أترك وحي ربي وأتّبع أهواءكم، وهو القاهر فوق عباده وإليه ترجعون.

وإني أُعطيتُ آياتٍ وبركات، وأنواع النصرة وتأييدات، وإن الكاذبين لا يُفتح لهم هذا الباب، ولو لم يبق منهم بالمجاهدة إلا الأعصاب. أتظنّون أن الله يحبّ خوّانًا أثيمًا؟ وإني جئتُ لنصرتكم من جنابه، كأسد يطلع من غابه، ويصول كاشرا عن أنيابه، فأرُوني رجلا من القسيسين والملحدين والمشركين، من يبارزني في هذا المضمار، ويناضلني بآيات الله القهّار. ووالله إنّ كلّهم صيدي، وسدَّ الله عليهم طريق الفرار، لا يؤويهم أجمة، ولا بحر من البحار،

ونحن نفري الأرض مسارعين إليهم ونبريها بسرعة كالمنتهبين، وإنّا إن شاء الله نصل إليهم فاتحين فائزين*.

وإنّهم ما كانوا ليغلبوكم، ولكن ذهبتم إلى الفلاة من الحُماة، وإلى الموامي مِن حِمى الحامي، وأنفدتم زاد العلوم، وصرتم كالبائس المحروم، وجعلتم أنفسكم كشيخ مفنّد لا رأي له ولا عقل، أو كبهيمة لا تدري إلا البقل. لا تقبلون سلاحًا نزل من السماء من حضرة الكبرياء، أما أسلحة الدُّنيا فليست بشيءٍ بمقابلة هؤلاء الأعداء. فالآن مَسكنكم فلاةٌ عوراء، ودَشْتٌ ليس هنالك الماء. وإنكم تتركون متعمّدين عيونا جاريةً تروي العطشان، وتختارون موامي ولا تخافون الغيلان، وقد ذابت الهاجرة الأبدان. ما لكم لا تَأْوون إلى هذا الظل الرحب الذي ينجيكم من الحرور، ويهديكم إلى ماءٍ عذب، ويبعدكم عن حُفر القبور؟

وإن أكبر الدلايل على صدق من ادّعى الرسالة، هو وجود زمانٍ كمَّل الضلالة. وإن كنتم في شك من أمري فاصبروا حتى يحكمَ الله بيننا وهو خير الحاكمين. ألم يكفكم أنه جعل لنا فرقانًا بعد ما باهل العدا، وقالوا إنّ لنا الغلبة من الحضرة، فأهلك الله من هلك عن البيّنة، ومكرتم ومكر الله، والله خير الماكرين.

وترون كيف تخيّم الأعداء حولكم، وكيف نزل عليكم البلاء،

* أوحى إليّ ربّي وقال: أَستجيب في هذه الليلة كلّ ما دعوت، ومنها قوّة الإسلام وشوكته، وكان ١٦ مارج سنة ١٩٠٧م. منه.

وتذللتم لهم من ضعف أنفسكم وجذبتْكم إليهم الأهــواء، وقــد نحتوا حيلاً حيّرت البصائر والأبصار، فما لكم لا ترون إعصــارًا أجاحت الأشجار؟ إنهم قوم يريدون لكم ارتدادا وضــلالاً، ولا يألونكم خبالاً. وقد غلبوا أهــلَ الأرض وجعلــوهم كالغلمــان والإماء، وكادوا أن يرموا سهامهم إلى السماء. ووالله لا قِبل لكم بهم، وإنْ أنتم عندهم إلا كالهباء. فقولوا أأَغْضَبُ علــيكم أو لا أغضب؟ لم تنامون في هذا الأوان؟ أرضِيتم بالحيــاة الــدنيا مــن الآخرة، فاثّاقلتم إلى الأرض كالسكران؟ وأيّ شيءٍ أنامكم، وقد صرتم غرض الخُسران؟ وأيّ طاقةٍ بقيتْ لكم يا فتيان؟ ووالله مــا بقي إلا ربّنا المنّان. فلا أدري ما صنعتم وما تصنعون بالأســباب. وكيف ينصركم عقلكم الذي ليس إلا كالــذباب؟ وأيّ زينــة تُظهرون بهذه الثياب؟

ولما قُمتُ فيكم وقلتُ إني من الله الكــريم اشــتعلتم غضــبًا وسخطًا، وقلتم رجل افترى، وحسبتموني كالشيطان الرجيم. وما نظرتم إلى الوقت.. هل الوقت يقتضي دجالاً يُشيع الضــلال، أو مصلحًا يحيي الدين، ويردّ إليكم ما زال؟ وإني أشهد الله على مــا في قلبي، ووالله إني منه، ولست فعلت أمرًا من تزويــري، وقــد ظلمتم إذ عمدتم إلى تكفيري وتحقيري، وما نظرتم إلى ما صُــبَّ على الإسلامِ في هذه الأيام. فنبكي عليكم بدموعٍ جارية، وعبرات متحدّرة، كما تضحكون علينا وتستهزئون. ما لكم لا تفكّــرون

في أنفسكم ولا تنظرون في ضعف الإسلام؟ أما شبعتم من الدجاجلة، وتتمنّون دجالاً آخر في هذا الوقت المخوفة وفي هذه الأيام المنذرة؟ وقد جئتكم على رأس المائة، وعند الضرورة الحقّة، وشهد على صدقي الكسوف والخسوف والزلازل والطاعون. فأعجبني أنكم ترون الآيات ثم لا تزول الظنون! أهذه فراستكم أيّها العالمون؟ بل حال بينكم وبين تقواكم كِبرٌ كنتم تخفونه وتكتمون. وعميتْ عينكم فلا ترى فتن الأعداء، وتسمّونني دجّالاً ولا تبصرون. وتفتون بأني كافر بل أكفر مِن كلّ مَنْ كفر بالأنبياء، فمرحبًا بكم بهذا الإفتاء.

والعجب كل العجب أن الذين يريدون أن يجيحوا الدين من أهل الصلبان والمشركين ليسوا عندكم دجّالين، وأنا دجّال بل أكبر المفسدين! فلا نشكو إلا إلى الله رب العالمين. ولما صرْتُ عندكم كافرًا.. كيف يُرْجى أن ينفعكم موعظة من الكفّار؟ ولكني أردت أن أذكر ما أُوذيت في الله فلذلك أفْضى بنا الكلام إلى هذه الأذكار.

رحمكم الله.. ما لكم لا تتركون ظُلمًا وعدوانا، ولا تخافون عليمًا ديّانا؟ أيُّها الناس.. جئنا من الله على ميقاته، ونطقْنا بإنطاقه، نبلّغ إليكم الدعوة، وتنالنا عنكم اللعنة! فما أدري ما هذه الدناءة؟ إنكم حاذيتم اليهود حتى صكّتِ النعال بالنعال، وتشابهت الأقوال بالأقوال. إنهم كانوا لبخْلهم يسمّون نبيّ الله عيسى دجالاً،

وكذلك سُمّيت منكم بهذا الاسم، فضاهَيْتم بهم أفعالاً وأقوالاً. ولولا سيف الحكومة لأرى منكم ما رأى عيسى من الكفرة. ولذلك نشكر هذه الحكومة لا بسبيل المداهنة، بل على طريق شكر المنّة. ووالله إنّا رأينا تحت ظلّها أَمْنًا لا يرجَى من حكومة الإسلام في هذه الأيام، ولذلك لا يجوز عندنا أن يُرفَع عليهم السيف بالجهاد، وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم ويقوموا للبغاوة والفساد. ذلك بأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا شكّ أن حكومتهم لنا حمى الأمن، وبها عُصِمْنا من جور أهل الزمن. ومع ذلك لا نخفي أنّا نخالف القسيسين، بل إنّا لهم أوّل المخالفين. ذلك بأنهم يجعلون عبدًا ضعيفًا عاجزًا ربّ العالمين، وتركوا خالق السماوات والأرضين. والله يعلم أنهم من الكاذبين المفترين، والدجّالين المُحرّفين. ونعلم أن الحكومة ليست معهم، ولا تُغريهم بهذا الأمر ولا من المعاونين، بل إنهم ليسوا بالنصارى إلا بأفواههم. نحتوا القوانين من عند أنفسهم، وتركوا الإنجيل وراء ظهورهم، فكيف نقول إنهم النصارى، بل هم قوم آخرون، وسلكوا مسالك أُخرى، ولا يدرسون الأناجيل، ولا يعملون بأحكامها، ولا إليها يتوجّهون. ونجد فيهم عدلاً وإنصافًا عند الخصومات، وإني جرَّبْتُ بعضهم في بعض المخاصمات، ورأيتهم أنهم أقرب مودّةً إلينا، ولا يريدون الظلم ولا يتعمّدون. وإن اللّيل تحت ظلّهم خير من نهارٍ

رأينا تحت ظلّ المشركين، فوجب علينا شكرهم وإن لم نشكر فإنّا مذنبون.

فخلاصة الكلام.. إنّا وجدنا هذه الحكومة من المحسنين، فأوجب كتاب الله علينا أن نكون لها من الشاكرين، فلذلك نشكرهم ولا نبغي لهم إلا خيرا. وندعو الله أن يهديهم إلى الإسلام، وينجّيهم من عبادة عبد هو كمثلهم في المصائب والآلام، ويفتح عيونهم لدينه، ويُوَجّههم إلى خير الأديان، ويحفظهم في الدين والدُّنيا من الخُسران.

هذا دعاؤنا، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا يجازي الحسنة بالسيئة إلا الذي آثم قلبه وصار كالشياطين، فلا نريد طريق القاسطين. وليس وجه كلامنا في هذه الرسالة إلا إلى علماء النصارى والقسيسين، الذين حسبوا سبّ الإسلام وتوهين سيّدنا خير الأنام فَرْضَ مذهبهم، فقمنا لدفعهم وذبِّهم من الله تعالى، وهو ناصر دينه وهو خير الناصرين.

وقد خاطبني ربي لنصرة دينه بكلمة أجد فيها وعدًا كبيرًا، وقال: بَشِّرْهم بأيّام الله وذَكِّرْهم تذكيرا. فنعلم مطمئنين مستيقنين أن الله ينصر دينه ويعصمه من الأعداء، ويظهره على الأديان كلها من السماء، ولكن لا بالحرب والجهاد، بل بآيات قاهرة، ويَد تدقّ قِحْفَ الأعداء. وكذلك وجدنا في كتابه، ثم كمثله أوحى إليّ ربي، وهذا ملخص الإيحاء. فلن يخلف الله وعده، ويري الذين

ظلموا جزاءهم أتمّ الجزاء.

وكذلك ظهرت الآثار في هذا الزمان، وتجلّى ربّنا لأهل الأرض بتجلٍّ قهريّ، فأرى آياتِ قهره في جميع البلدان. وكثير من الناس أفناهم الطاعون، وكثير منهم انتسفتْهم الزلازل وتلقّاهم المنون. والذين كانوا في البارحة ينومون في القصور، اليوم تراهم ميّتين في القبور. أقفرتْ منهم مجالس، وعُطّلتْ مقاصر، وحلّوا بدارٍ لا تتركهم أن يرجعوا إلى إخوانهم، أو ينزعوا دُورهم عن جيرانهم. وترى الناس لا يملكون الفرار من هذا الوباء، وما بقي لهم مفرّ تحت السماء.

ولا يُحمَل هذا البلاء على البَخْت والاتفاق، كما زعم أهل الشقاق، فالسعيد هو الذي عرف هذه الآيات، وولج شعب تلك الحرّات.

فاعلموا، رحمكم الله.. أن هذه المصائب من الأقدار التي ما رأيتم قبل هذا الزمان، ولا آباؤكم في حين من الأحيان، وإنما هي آيات لرجل بُعث فيكم من الله المنّان، ليجدّد الله دينه ويظهر براهينه، ويُخَضِّر بساتينه، ويثمّر أشجاره من الثمرات الطيّبات، وليجعل حطبه كالغصون الناعمات. كذلك ليعرف الناس دين الله القويم، ويميلوا كل الميل إلى ربهم الرحيم، وينفروا عن الدنيا نفورَ طبع الكريم. ولما أَسْفر صُبح الدين، وأرى شعاع البراهين، غضَّ أكثرُهم أبصارهم لئلا يبصروا، وعافوا دعوة الله وهم يعلمون. يا

حسرة عليهم.. من الخير يفرّون، وعلى الضير يتمايلون. قد حان أن يُفتَح الباب، فمن القارع المنتاب؟ وقد جرت العين لمن كانت له العين. والله غفور رحيم، لا يردّ من جاء بقلب سليم، ومن زاد سؤالاً يزِدْه نوالاً.

والعجب أن القوم جمعوا خصاصةً جسمانيةً مع خصاصة روحانية، ثم يحسبون أنّهم ليسوا بمحتاجين إلى مصلح من الله الكريم! وسُدّ عليهم كلّ بابٍ ثم يظنّون أنهم رُزقوا من كلّ نوع النعيم! قد رضوا بأن يعيشوا كالأنعام، معرضين عن آلاء الله والإنعام. فنتعجّب من قعود همّتهم، وخسّة حالتهم، ونسأل الله إصلاحهم، حتى يُرزقوا فلاحهم، ووَقَفْنا على الدعاء لهم أكثرَ أوقاتنا ووقتَ الأسحار، والعينَ التي لا يملكها غُمضٌ من هذه الأفكار.

ووالله إني أخبرتهم بأيام الطاعون قبل ظهورها، وما نطقتُ إلا بعد ما أنطقني ربي وأعثرني على مستورها. ثم بعد ذلك أخذهم الطاعون، ونزل بهم المنون. وكان هذا الخبر في وقت ما اهتدى إليه رأي الأطبّاء، وما نطق به أحد من العقلاءِ، فوقع كما أخبر ربي، وكان هذا برهانًا عظيمًا من ربّ السماء. ولكن الناس ما سرّحوا الطرْف إليه، وما أفاض رجل ماء الدموع من عينيه، وما بادروا إلى التوبة والأعمال الحسنة، بل زادوا في المعاصي والسيئةِ. وكذّبوني وكفّروني، وقالوا دجّال لئيم، وما آنسني في

وحدتي إلا ربي الرحيم. واجتمعوا عليّ سبًّا وشتمًا، ولزموني ملازمة الغريم، وما عرفوني لبغضهم القديم، فاختفينا من أعينهم كأصحاب الكهف والرقيم. وجحدوا بآيات الله واستيقنتْها أنفسهم ظلما وعُلُوّا، فما أمكنهم الرجوع بعد ما أروا تشدّدًا وغُلُوًّا. ووالله إن الآيات قد نزلت كصيّب من السماوات. أشعلت المصابيح فما زالت ظلماتهم، وكثر الإنذار والتنبيه فما قلّت سيّئاتهم. عكفوا على حطب، وأعرضوا عن أشجار باسقة، وأثمار يانعة، وأزهار منوّرة. ووالله لا أدري لِمَ أعرضوا عني مع هذه الآيات البيّنات، وقد أتمّ الله حجّته عليهم وعلى كلّ من كان في الظلمات. ولما راعني منهم ما يروع الوحيدَ، أدركني عون ربي وكلَّ يومٍ زِيْدَ. وما زلت أُنصر وأؤيَّد، حتى تمّت الحجّة، وتواترت النصرة، وبلغت الآيات إلى حدّ لا أستطيع أن أُحْصيها، ولكني رأيت أن أكتب آية منها في آخر هذه الرسالة، لعلّ الله ينفع بها أحدًا من الطبايع السعيدة، ويعلم الناس أن نصرة الله قد أحاطت مشارق الأرض ومغاربها، وشاعت تغلغلها في أخيار العباد وعقاربها، حتى بلغت أشعّة هذه الآيات إلى بلاد أمريكة التي هي أبعد البلاد.

وكلّ ما أوحى الله إليّ من الآيات المنيرة، والبراهين الكبيرة، إنها ليست لي بل لتصديق الإسلام، وما أنا إلا أحد من الخدّام. وأعجبني حال المنكرين.. إنهم أصرّوا على التكذيب حتى صاروا

أوّل المعتدين! وكلٌّ جَهَدَ جهدَه، وبذل ما عنده ليطفئ نورًا نزل من السماء، فزاد الله نوره، وما كان جهدهم إلا كالهباء. ورأينا فتنتهم كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج، ولكن كان مآل الأمر فَتْحنا وهزيمتهم، وعزّتنا وذلّتهم. ولو كان هذا الأمر من غير الله لمزّقوني كلّ ممزّق، ولـمَحَوا نقشي من الأحياء، ولكن كانت يد الله تحفظني من شرّ الأعداء، حتى بلغت آياتي إلى أقصى البلاد، فما كان هذا إلا فعل رب العباد.

والآن نكتب آية ظهرت في بلاد أمريكة، وطلعتْ شمسنا من المشرق حتى أرتْ بريقَها أهلَ المغرب بصورٍ أنيقة. **فهذا فضل الله ورحمته، وعناية الله ومنّته، وبُشرى لقومٍ يعرفونه، وطوبى لعبادٍ يَقْبَلُونَه.**

ذكر المباهلة

التي دعوتُ "دوئي" إليها، مع ذكر الدعاء عليه، وتفصيل ما صنَع الله في هذا الباس، بعد ما أشعناه في الناس

اعلموا، رحمكم الله، أن من نموذج نصرته تعالى، ومن شهاداته على صدقي، آية أظهرها الله تعالى لتأييدي، بإهلاك رجل اسمه "دوئي". وتفصيل هذه الآية الجليلة، والمعجزة العظيمة، أنّ رجلاً مسمّى بـــ "دوئي"، كان في أمريكة من النصارى المتموّلين، والقسيسين المتكبّرين. وكان معه زهاء مائة ألف من المريدين، وكانوا يُطيعونه كالعباد والإماء على منهج اليسوعيّين. وكان كثير الشهرة في قومه وغير قومه، حتى طَبّق الآفاقَ ذكرُه، وسخّر فوجًا من النصارى سِحْرُه. وكان يدَّعي الرسالة والنبوّة، مع إقرار ألوهيّة ابن مريم، ويسبّ ويشتم رسولنا الأكرم، وكان يدَّعي مقامات فائقة ومراتب عالية، ويحسب نفسه من كلّ نفس أشرفَ وأعظم. وكان يزيد يومًا فيومًا في المالِ والشهرة والتابعين، وكان يعيش كالملوك بعد ما كان كالشحّاذين. فالناظر من المسلمين في ترقّياته،

مع افترائه وتقوُّله، إن كان ضعيفًا.. ضلّ وحارَ، وإن كان عَرِيفًا.. لم يأمَن العثارَ. وذلك أنه كان عدوّ الإسلام، وكان يسبّ نبيَّنا خيرَ الأنام، ثمّ مع ذلك صعد في الشهرة والتموّل إلى أعلى المقام، وكان يقول إني سأقتل كلّ من كان من المسلمين، ولا أترك نفسًا من الموحّدين المؤمنين.

وكان من الذين يقولون ما لا يفعلون، وعلا في الأرض كفرعون ونسي الـمنون. وكان يجعل النهارَ لنهب أموال الناس، والليلَ للكاس، واجتمع إليه جهّال اليسوعيين، وسفهاء المسيحيين، فما زالوا يتعاطون أقداح الضلالة، ويصدّقون من جهلهم دعوى الرسالة. وكان هو عَبْدَ الدنيا لا كَحُرٍّ، وكصدف بلا دُرٍّ، ومع ذلك كان شيطانَ زمانه، وقرينَ شيطانه، ولكـن الله مهَّله إلى وقت دعوتُه للمباهلة، ودعوتُ عليه في حضرة العزّة.

وكنتُ أجد فيه ريح الشيطان، ورأيت أنه صريع الطاغوت وعدوّ عباد الرحمن، نجّس الأرض ونجّس أنفاس أهلها من أنواع خباثة الهذيان، وما رأيتُ كمثله عمِّيتًا ولا عفريتًا في هذا الزمان. كان مجنونَ التثليث، وعدوَّ التوحيد، ومصرًّا على الدين الخبيث، وكان ينظر مضرّاته كحسنة، ومعرّاته كأسباب راحة.

واجتمع الجهّال عليه من الأُمراء وأهل الثروة، ونصروه بمال لا يوجد إلا في خزائن الملوك وأرباب السلطنة. وكان يساق إليه قناطيرُ الدولة، حتى قيل إنّه ملك ويعيش كالملوك بالشأن

والشوكة. ولما بلغت دولته منتهاها، تبع نفسَه الأمّارة وما زكّاها. وادّعى الرسالة والنبوّة من إغواء الشيطان، وما تحامى عن الافتراء والكذب والبهتان. وظنّ أنه أمرٌ لا يُسأل عنه، ويُزجّي حياته في التنعّم والرفاهة، ويزيد في العظمة والنباهة، بل سلك معه طريقَ الكبر والنخوة، وما خاف عذاب حضرة العزّة. ولا شكّ أنّ المفتري يؤخذ في مآل أمره ويُمنع من الصعود، وتفترسه غيرة الله كالأُسُود، ويرى يوم الهلاك والدمار الموعود في كتاب الله العزيز الودُود. إن الذين يفترون على الله ويتقوّلون، لا يعيشون إلا قليلاً ثم يؤخذون، وتتبعهم لعنة الله في هذه وفي الآخرة، ويذوقون الهوان والخزي ولا يُكرَمون. ألم يبلغك ما كان مآل المفترين في الأوّلين؟ وإن الله لا يخاف عقبى المتقوّلين، ويهزّ لهم حُسامه، فيجعلهم من الممزَّقين.

ولما اقترب يوم هلاكه دعوتُه للمباهلة، وكتبتُ إليه أن دعواك باطلٌ ولستَ إلا كذّابًا مفتريًا لجيفة الدنيا الدنيّة، وليس عيسى إلا نبيًّا، ولستَ إلا متقوّلاً، ومن العامّة والفِرق الضالّة المضلّة. فاخْشَ الذي يرى كذبك، وإني أدعوك إلى الإسلام والدين الحقّ والتوبة إلى الله ذي الجبروت والعزّة. فإن تولّيتَ وأَعْرضتَ عن هذه الدعوة، فتعالَ نباهلْ ونجعلْ لعنة الله على الذي ترك الحقّ، وادّعى الرسالة والنبوّة على طريق الفِرية. وإن الله يفتح بيني وبينك، ويهلك الكاذب في زمن حياة الصادق، ليعلم الناس مَنْ صدق

ومَنْ كذب، ولينقطع النـــزاع بعد هذه الفيصلة.

ووالله، إني أنا المسيح الموعود الذي وُعد مجيئه في آخر الزمن وأيام شيوع الضلالة. وإنّ عيسى قد ماتَ، وإن مذهب التثليث باطل، وإنك تفتري على الله في دعوى النبوّة. والنبوّة قد انقطعت بعد نبيّنا ﷺ، ولا كتاب بعد الفرقان الذي هو خير الصحف السابقة، ولا شريعة بعد الشريعة المحمديّة، بَيْدَ أني سُمّيتُ نبيًّا على لسان خير البريّة، وذلك أمر ظلّي مِنْ بركات المتابعة، وما أرى في نفسي خيرًا، ووجدتُ كُلّ ما وجدت من هذه النفس المقدّسة. وما عنى الله من نبوّتي إلا كثرة المكالمة والمخاطبة، ولعنة الله على من أراد فوق ذلك، أو حسب نفسه شيئًا، أو أخرج عنقه من الرِّبْقة النبويّة. وإن رسولنا خاتم النبيين، وعليه انقطعتْ سلسلة المرسلين. فليس حقّ أحدٍ أَن يدّعي النبوّة بعد رسولنا المصطفى على الطريقة المستقلّة، وما بقي بعده إلا كثرة المكالمة، وهو بشرط الاتّباع لا بغير متابعة خير البريّة. ووالله، ما حصل لي هذا المقام إلا من أنوار اتّباع الأشعّة المصطفوية، وسُمِّيتُ نبيّا من الله على طريق المجاز لا على وجه الحقيقة. فلا تهيج ههنا غيرة الله ولا غيرة رسوله، فإني أُربَّى تحت جناح النبيّ، وقدمي هذه تحت الأقدام النبويّة. ثم ما قلتُ من نفسي شيئًا، بل اتّبعتُ ما أُوحي إِليّ من ربّي. وما أخاف بعد ذلك تهديد الخليقة، وكلّ أحدٍ يُسأل عن عمله يوم القيامة، ولا يخفى على الله خافية.

وقُلتُ لذلك المفتري.. إن كنتَ لا تباهل بعد هذه الدَّعْوة، ومع ذلك لا تتوب مما تفتري على الله بادّعاء النبوّة، فلا تحسبْ أنك تنجو بهذه الحيلة، بل الله يهلكك بعذابٍ شديدٍ مع الذلّة الشديدة، ويخزيك ويذيقك جزاء الفرية.

وكان يراقب موتي وأراقب موته، وكنتُ أتوكّل على الله ناصر الحقّ وحامي هذه الملّة.

ثم أشعتُ ما كتبتُ إليه في ممالك أمريكة إشاعةً تامّةً كاملةً، حتى أُشيعَ ما كتبت إليه في أكثر جرائد أمريكة، وأظنّ أنّ ألوفا من الجرائد أشاعتْ هذا التبليغ، وبلغت الإشاعة إلى عِدّة ما أستطيع أن أُحصيها، وليس في القرطاس سعة أَنْ أُمْليها. وأمّا ما أُرْسِلَ إليّ من جرائد أمريكة التي فيها ذكرُ دعوتي وذكر المباهلة وذكر دعائي على "دوئي" لطلب الفيصلة، فرأيتُ أن أكتب في الحاشية أسماء بعضها، ليعلم الناس أنّ هذا الأمر ما كان مكتومًا مخفيًّا، بل أشيع في مشارق الأرض ومغاربها، وفي أقطار الدنيا وأعطافها كلّها، شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا. وكان سبب هذه الإشاعة أنّ "دوئي" كان كالملوك العظام في الشهرة، وما كان رجل في أمريكة ولا في يورُب من الأكابر والأصاغر إلا كان يعرفه بالمعرفة التامّة. وكانت له عظمة ونباهة كالسلاطين في أَعْيُن أهل تلك البلاد، ومع ذلك كان كثير السياحة، يصطاد الناس بوعظه كالصياد. فلذلك ما أبى أحدٌ من أهل الجرايد أن يطبع ما

أُرْسل إليه في أمره من مسألة المباهلة، بل ساقهم حرص رؤية مآل المصارعة إلى الطبع والإشاعة. والجرائد التي طُبعتْ فيها مسألة مباهلتي ودُعائي على "دوئي" هي كثيرة من جرائد أمريكة، ولكنّا نذكر على طريق النموذج شيئًا منها في حاشيتنا هذه:*

* (١) شكاكو إنتربريتر- ٨ جون سنة ١٩٠٣م:
ترجمة خلاصة مضمونها: إن الميرزا غلام أحمد رجل من الفنجاب، وهو يدعو "دوئي" للمباهلة. أيظنّ أنه يخرج في هذا الميدان؟ وإن الميرزا يكتب أن "دوئي" مفتر كذّاب في دعوى النبوّة، وإني أدعو الله أن يهلكه ويستأصله كلّ الاستئصال. ويقول: إني على الحقّ، وإن دوئي على الباطل، فالله يحكم بيننا بأنه يهلك الكاذب، ويستأصله في حين حياة الصادق. وإن الميرزا غلام أحمد يقول: إني أنا المسيح الموعود، وإن الحقّ في الإسلام.
(٢) تيليكراف – ٥ جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق بما سبق بأدنى تغيّر الألفاظ.
(٣) أركونات سان فرانسسكو – واحد دسمبر سنة ١٩٠٢م:
مطابق بما سبق بأدنى تغيّر الألفاظ، ومع ذلك قال: إن هذا الطريق طريق معقول ومبنيّ على الإنصاف. ولا شكّ أنّ الرجل الذي يستجاب دعاؤه فهو على الحقّ من غير شبهةٍ.
(٤) لتريري دايجست نيويارك – ٢٠ جون سنة ١٩٠٣م:
ذكر مفصّلا كلّ ما دعوت به "دوئي" للمباهلة، وطبع عكْس صورتي وصورته، والباقي مطابق بما سبق.
(٥) نيويارك ميل أيند أيكسبريس – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م:
عنوان ذكره: "مباهلة المدّعيين"، وذكر دعائي على "دوئي"، ثم ذكر أن الأمر الفيصل هلاك الكاذب في حين حياة الصادق. والباقي مطابق بما سبق.
(٦) هيرلد روتشستر – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: ذكر أن "دوئي" دُعي للمباهلة، ثم ذكر تفصيلا ما سبق من البيان.
(٧) ريكارد بوستن – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٨) أيدورتائيزر – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٩) بايلات بوستن – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: ذكرني وذكر "دوئي"، ثم ذكر دعاء المباهلة.
(١٠) باث فايندر واشنغتن – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م : ذكر كمثل ما سبق.
(١١) إنتر أوشن شكاغو – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: ذكر كمثل ما سبق.

وخلاصة الكلام أنّ "دوئي" كان شرّ النّاس، وملعون القلب، ومثيل الخنّاس، وكان عدوّ الإسلام بل أخبث الأعداء، وكان يريد أن يجيح الإسلام حتى لا يبقى اسمه تحت السماء. وقد دعا مرارًا في جريدته الملعونة على أهل الإسلام والملّة الحنيفية، وقال: اللهمّ،

---

(١٢) ديموكريت كرانيكل روتشستر – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: عنوان ذكره للمباهلة، والباقي مطابق لما سبق.
(١٣) شكاغو: مطابق لما سبق.
(١٤) برلنغتن فري بريس – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(١٥) ووستر سبائي – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(١٦) شكاغو انترأوشن – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م: ذكر دعاء المباهلة.
(١٧) ألبني بريس – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(١٨) جيكسنول تايمز – ٢٨ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(١٩) بالتيمور أمريكن – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٠) بفلو تايمز – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢١) نيويارك ميل – ٢٥ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٢) بوستن ريكارد – ٢٧ جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٣) ديزرت إنجلش نيوز – ٢٧جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٤) هيلينا ريكارد – واحد جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٥) جروم شاير غزت – ١٧ جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٦) نونيتن كرانيكل – ١٧جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٧) هيوستن كرانيكل – ٣ جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٨) سونا نيوز – ٢٩جون سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٢٩) ريتشمند نيوز – واحد جولائي سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٣٠) جلاسجو هيرلد – ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٣١) نيويارك كمرشل أيدورتائيزر – ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٠٣م: مطابق لما سبق.
(٣٢) دي مارننغ تيلغراف – ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٣م: ذكر دعاء المباهلة وذكر دوئي. منه.

أَهْلِكْ المسلمين كلّهم، ولا تُبْقِ منهم فردًا في إقليم من الأقاليم، وأَرِني زوالهم واستيصالهم، وأَشِعْ في الأرض كلّها مذهب التثليث وعقيدة الأقانيم. وقال أَرْجُو أَنْ أرى موت المسلمين كلّهم وقَلْعَ دين الإسلام، وهذا أعظم مراداتي في حياتي، وليس لي مراد فوق هذا المرام. وكلّ هذه الكلمات موجودة في جرائده التي موجودة عندنا في اللسان الإنكليزية، ويعلمها من قرأها من غير الشكّ والشبهة. فكفاكَ أيُّها الناظر لتخمين خُبث هذا المفتري هذه الكلماتُ، ولذلك سمّاه النبيّ – صلى الله عليه – خنزيرًا بما ساءتْ هذا الخبيثَ الطيّباتُ، وسرّتْه نجاسة الشرك والمفتريات.

وقد عرف الناظرون في كلامه توهين الإسلام فوق كلّ توهين، وشهد الشاهدون على ملعونيّته فوق كل لعين، حتى إنه صار مثلاً بين الناس في الشتم والسبّ، وما كان منتهيًا من المنع والذبّ. وإذا باهلتُه ودعوته للمباهلة، ليَظهَر بموت الكاذب صدقُ الصادق من حضرة العزّة، فقال قائل من أهل أمريكة وطبع كلامه في جريدته، وتكلّم بلطيفة رائقة ونُكتة مضحكة في أمر "دوئي" وسيرته، فكتب أنّ "دوئي" لن يقبل مسألة المباهلة، إلا بعد تغيير شرائط هذه المصارعة، فيقول: لا أقبل المباهلة، ولكن ناضِلوني في التشاتم والتسابّ، فمن فاق حريفه في كثرة السبّ وشدّة الشتم فهو صادق، وحريفه كاذبٌ من غير الارتياب. وهذا قول صاحب جريدةٍ كان تقصَّى أخلاقَه، وجَرّب ما يخرج من لسانه وذاقَه.

وكذلك قال كثير من أهل الجرائد، وإنّهم من أعزّة أهل أمريكة ومن العمائد.

ثم مع ذلك إني جرّبتُ أخلاقه عند مسألة المباهلة، فإذا بلغه مكتوبي غضب غضبًا شديدًا واشتعل من النَّخْوة، وأرى أنيابَ ذياب الأجمة، وقال: ما أرى هذا الرجلَ إلا كبعوضة بل دونها، وما دعتني البعوضة بل دعت منونها. وأشاع هذا القول في جريدته، وكفاك هذا لرؤية كبره ونخوته، فهذا الكبر هو الذي حثّني على الدعاء والابتهال، متوكّلا على الله ذي العزّة والجلال.

وكان هذا الرجل صاحب الدولة العظيمة قبل أن أدعوه إلى المباهلة، وكنت دعوت عليه ليُهلكه الله بالذلّة والمتربة والحسرة. وإنّه كان قبل دعائي ذا السطوة السلطانية، والقوّة والشوكة، والشهرة الجليلة، التي أحاطت الأرض كالدائرة. وكان صاحب الدُّور المنجّدة، والقصور المُشيّدة. وما رأى داهية في مُدّة عمره، ورأى كلّ يوم زيادة زمره. وكان له حاصلاً ما أمكن في الدنيا من الآلاء والنعماء، وكان لا يعلم ما يوم البأساء وما ساعة الضرّاء. وكان يلبس الديباج، ويركب الهِمْلاج، وكان يظنّ أنه يرزق عمرًا طويلاً غافلاً من سهم المنايا، وكان يزجّي النهار كالمسجودين والمعبودين والمعظَّمين، ويفترش الحشايا بالعشايا. وإذا أنـــزل الله قدره ليُصدّق ما قلتُ في مآل حياته، فانقلبت أيّام عيشه ومسرّاته، وأراه الله دائرة السَّوء، ولُدغ كلَّ لَـــدْغٍ من حَيَواته، أعني أفاعي

أعماله وسيّآته. فعاد الهِمْلاجُ[1] قَطُوفًا[2]، وانقلب الديباج صوفًا، وهلمَّ جرّا. إلى أنّه أُخرج من بلدته التي بناها بصرف الخزائن، وحُرّم عليه كلّ ما شَيّد من المقاصر ببذل الدفائن، بل ما كفى الله على هذا، وأنـــزل عليه جميع قضائه وقدره، وحطّ سائر وجوه شأنه وقدره، وانتقل إلى رجلٍ آخر كلُّ ما كان في قبضته، وجمعتْ غياهبَ البُؤْسِ رياحُ نخوته، حتى يئس من ثروته الأولى، وارتضع من الدهر ثديَ عقيمٍ، وركب من الفقر ظهرَ بهيمٍ. ثمّ أخذه بعض الورثاء كالغرماء، ورأى خزيًا كثيرًا من الزوجة والأحباب والأبناء، حتى إنّ أباه أشاع في بعض جرائد أمريكة أنه زنيمٌ ولدُ الزنا وليس من نُطفته. وكذلك انتسفتْه رِيَاحُ الإدبار والانقلاب، وكمّل له الدهرُ جميعَ أنواع الذلّة، فصار كرميم في التراب، أو كسليم غَرض التباب، وصار كنكرة لا يُعرف، بعد ما كان بكلّ وجاهة يوصف. وانتشر كلُّ مَن كان معه من الأتباع، وما بقي شيء في يده من النقد والعَقار والضِّياع، وبرز كالبائس الفقير، والذليل الحقير. غِيضتْ حياضه، وجَفَّتْ رياضه، وخَلَتْ جفانه، ونَحُس مكانه، وطُفِئ مصباحه، ورُفعت صياحه، ونُـــزعت عنه البساتين وعيونها، والخيل ومتونها، وضاق عليه سهلُ الأرض وحُزونها، وعادته الأودية وبطونها، وسُلِبت منه

---

[1] الهِمْلاج: الدابّة الحسنة السير في سرعة وسهولة. منه

[2] القطوف: الدابة الضيقة الخطى البطيئة السير. منه

الخزائن التي ملك مفاتحها، ورأى حروب العدا ومضائقها. ثم بعد كلّ خزي وذلّة فُلج من الرأس إلى القدم، ليرحّله الفالج من الحياة الخبيث إلى العدم. وكان يُنقل من مكان إلى مكان فوق ركاب الناس، وكان إذا أراد التبرّز يحتاج إلى الحقنة من أيدي الأناس. ثمّ لَحِقَ به الجنون، فغلب عليه الهذيان في الكلمات، والاضطراب في الحركات والسكنات، وكان ذلك آخر المخزيات. ثم أدركه الموت بأنواع الحسرات، وكان موته في تاسع من مارج سنة ١٩٠٧م، وما كانت له نوادب، ولا من يبكي عليه بذكر الحسنات.

وأوحى إليّ ربي قبل أن أسمع خبر موته وقال: إني نَعَيتُ. إنّ الله مع الصادقين. ففهمت أنه أخبرني بموت عدوّي وعدوّ ديني من المباهلين. فكنتُ بعد هذا الوحي الصريح من المنتظرين، وقد طُبع قبل وقوعه في جريدة "بَدْر" و"الحَكَم" ليزيد عند ظهوره إيمان المؤمنين. فإذا جاء وعد ربّنا مات "دوئي" فجأةً، وزهق الباطل، وعلا الحقّ، فالحمد لله ربّ العالمين.

ووَاللهِ لو أُوتيتُ جَبلاً من الذهب أو الدُّررِ والياقوت ما سرّني قطّ كمثل ما سرّني خبرُ موت هذا المفسد الكذّاب. فهل من مُنصف ينظر إلى هذا الفتح العظيم من الله الوهّاب؟

هذا ما نـــزل على العدوّ اللئيم، من العذاب الأليم، وأما أنا فحقّق الله كلّ مقصدي بعد المباهلة، وأرى آيات كثيرة لإتمام الحُجّة، وجذب إليّ فوجًا عظيمًا من النفوس البررة، وساق إليّ

القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة، ورزقني فتحًا عظيمًا على كلّ من باهلني من المبتدعين والكفرة. وأنـــزل لي آياتٍ* منيرة،

* **الحاشية:** إن الله أخبرني بموت "دوئي" مرارًا، وهي بشارات كثيرة، وكلّها طُبِع قبل موته وقبل نـزول الآفات عليه في جريدة مسمّى بـ"بدر" وجريدةٍ أخرى مسمّى بـ"الحَكَم"، فليرجع الناظر إليهما.

فمنها ما أوحي إليّ في ٢٥ دسمبر سنة ١٩٠٢حكاية عني وهو هذا:

إني صادق صادق، وسيشهد الله لي.

ومنها ما أوحي إليّ في ٢ فروري سنة ١٩٠٣م وهو هذا: سنعْليك. سأكرمك إكرامًا عجبًا. سمع الدعاء. إنّي مع الأفواج آتيك بغتة. دعاؤك مستجاب.

وأوحي في ٢٦ نومبر سنة ١٩٠٣م: لك الفتح، ولك الغلبة.

وأوحي في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٣م: ترى نصرًا من عند الله. إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون.

وأوحي إليّ في ١٢ جون سنة ١٩٠٤م: كتب الله لأغلبنّ أنا ورُسلي. كمثلك دُرٌ لا يضاع. لا يأتي عليك يوم الخسران.

وأوحي إليّ في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٥م: قال ربّك إنه نازل من السماء ما يرضيك، رحمةً منّا، وكان أمرًا مقضيًا.

وأوحي إليّ في ٢٠ مارج سنة ١٩٠٦م: المراد حاصِلٌ.

وأوحي إليّ في ٩ أبريل سنة ١٩٠٦م: نصر من الله وفتح مبين. ولا يُرَدّ بأسه عن قومٍ يعرضون.

وأوحي إليّ في ١٢ أبريل سنة ١٩٠٦م: أراد الله أن يبعثك مقامًا محمودًا.. يعني مقام عزّة وفتح تحمد فيه.

وأوحي في الهندية (ترجمة): أُري ما ينسخ طاقة الدّير.. يعني أُري آية تكسر قوة دير اليسوعيّين.

وأوحي في الهندية في ٧ جون سنة ١٩٠٦م (ترجمة): تظهر الآيتان. إني أريك ما يرضيك. وأوحي في ٢٠ جنوري سنة ١٩٠٦م: وقالوا لست مرسلا. قل: كفى بالله شهيدًا بَيني وبَينكم، ومَن عنده علم الكتاب.

وأوحي في١٠جولائي سنة ١٩٠٦م (ترجمة الهندي): انظرْ.. إني أمطر لك من السماء، وأنبت من الأرض، وأما أعداؤك فيؤخذون.

وأوحي في ٢٣ أكست سنة ١٩٠٦م (ترجمة الهندي): ستظهر آية في أيام قريبة ليقضي الله بيننا.

لا أستطيع أَنْ أحصيها، ولا أقدر أن أمليها، فاسألوا أهل أمريكة ما صنع الله "بدوئي" بعد دعائي، وتعالوا أُريكم آيات ربي ومولائي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المشـــــــتهر

الميرزا غلام أحمد المسيح الموعود

من مقام قاديان، ضلع كورداسبور، بنجاب

١٥ أبريل سنة ١٩٠٧م

وأوحي في ٢٧ ستمبر سنة ١٩٠٦م (ترجمة الهندي): السلام عليك أيها المظفّر. سمع دعاؤك. بلجتْ آياتي، وبشِّر الذين آمنوا بأن لهم الفتح.

وأوحي في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٠٦م: (ترجمة الهندي): الله عدوّ الكاذب، وإنه يوصله إلى جهنّم. أُغرقتْ سفينة الأذلّ. إن بطش ربّك لشديد.

وأوحي في ١ فروري سنة ١٩٠٧م (ترجمة الهندي): الآية المنيرة، وفتْحنا.

وأوحي في ٧ فروري سنة ١٩٠٧م: العيد الآخر، تـنال منه فتحًا عظيمًا. دَعْني أقتلْ من آذاك. إن العذاب مربّع ومدوّرٌ. وإنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٍ مستمرّ.

وأوحي في سابع مارج سنة ١٩٠٧م: يأتون بنعْشه ملفوفًا. نعيت من سابع مارج إلى آخره: يعني يشاع موت ذلك الرجل إلى هذا الوقت. إن الله مع الصادقين. منه.



سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام



---

* صورة القس "دوئي" كما طُبعت في الطبعة الأولى لهذا الكتاب. (الناشر)

BLANK

الخَاتـمة

وقع في نفسي أن أكتب شيئًا من سوانحي وسوانح آبائي في هذه الرسالة، لأعرّف به الناسَ أمري، لعل الله ينفعهم، ويزيدهم قوّة لِرفع الضلالة، ولعلّهم يفكّرون في أصل الحقيقة، ويميلون إلى العدلَ والنَّصَفة.

فاعلموا، رحمكم الله، أني أنا المسمى بـــ غلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى، وميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد، وميرزا عطا محمد بن ميرزا گـــل محمد، وميرزا گـــل محمد بن ميرزا فيض محمد، وميرزا فيض محمد بن ميرزا محمد قائم، وميرزا محمد قائم بن ميرزا محمد أسلم، وميرزا محمد أسلم بن ميرزا دلاور بيـــگ، وميرزا دلاور بيـــگ بن ميرزا إله دين، وميرزا إله دين بن ميرزا جعفر بيـــگ، وميرزا جعفر بيـــگ بن ميرزا محمد بيـــگ، وميرزا محمد بيـــگ بن ميرزا محمد عبد الباقي، وميرزا محمد عبد الباقي بن ميرزا محمد سلطان، وميرزا محمد سلطان بن ميرزا هادي بيـــگ.

ثم اعلموا أنّ مسكني قريةٌ سُمّيت ببلدة الإسلام، ثم اشتهر باسم "قاديان" في هذه الأيام. وهي واقعة في الفنجاب بين النهرين

"الراوي" و"البياس"، إلى جانب المشرق مائلا إلى الشمال من "لاهور" الذي هو صدر الحكومة ومركز البلاد الفنجابية.

وإني قرأتُ في كتب سوانح آبائي وسمعت من أبي أن آبائي كانوا من الجرثومة المُغْليّة. ولكن الله أوحى إليّ أنّهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركيّة. ومع ذلك أخبرني ربي بأنّ بعض أمهاتي كُنَّ من بني الفاطمة، ومن أهل بيت النُّبوّة، والله جمع فيهم نسل **إسحاق** و**إسماعيل** من كمال الحكمة والمصلحة.

وسمعتُ من أبي وقرأت في بعض سوانحهم أنّهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون في بلدة "سمرقند"، قبل أن يرحلوا إلى الهند، وكانوا من أمراء تلك الأرض ووُلاتها، ومن أنصار الملّة وحُماتها. ثم طرحتْهم النوى مَطارحَها، وبسطتْ إليهم سيول السفر جوارحَها، حتى إذا وطئوا أرض هذه البلدة التي تسمى بـ"قاديان" ورأوا هذه الخِطّة المباركة، والتُّربة الطيبة، سرّتْهم ريحها وماؤها، وسوادها وخضراؤها، فألقَوا فيها عصا التَّسْيار، وكانوا يرجّحون البدو على الأمصار، ورُزقوا فيها من الله ضيعةً وعقارًا، وملكوا قرًى وأمصارًا. ثم إذا مضى زمانٌ على هذه الحالة، ونزل قضاء الله وقدره على السلطنة الـمغليّة، أمّرهم الله في هذه الناحية، وانتهى الأمر إلى أَنّهم صارُوا كمَلك مستقل في هذه الخِطّة، وكان في يدهم مِن كل نهجٍ عِنانُ الحَكومة، وقضى الله وطرهم من الفضل والرحمة. وبعد ما زجّوا زمانًا طويلا في النّعمة والرفاهةِ، والشرف

والنباهة، أخرج الله بمصالحه العميقة وحِكمه الدقيقة قومًا يقال له "الخالصة"، وكانوا قسيّ القلب لا يكرمون الشرفاء، ولا يرحمون الضعفاء، وكُلّما دخلوا قريةً أَفْسدوها، وجعلوا أعِزّةَ أهلها أذِلّة، فصارت مِن جورهم بُدُورُ الإسلام كالأَهِلّة. وكانوا من أعادي الإسلام، وأكبر أعداء ملة خير الأنام. ففي تلك الأيام صُبّت على آبائي المصائب من أيدي تلك اللئام، حتى أُخرجوا من مقام الرياسة، ونُهبت أموالهم من أيدي الكفرة، ونُطحوا من جُيُود، وهُجّروا من ظلٍّ ممدود، ولبثوا في أرض الغُربة إلى سنين، وأُوذوا إيذاءً شديدًا من الظالمين، وما رحمهم أحد إلا أرحم الراحمين. ثم ردّ الله إلى أبي بعض القُرى في عهد الدولة البرطانية، فوجد قطرةً أو أقلّ منها من بحر الأملاك الفانية.

فخلاصة الكلام أنّ آبائي ماتوا بمرارة الخيبة والحسرات، بعد ما كانوا كشجرةٍ مملوّة من الثمرات، وبعد أيامٍ كانت كالعذاري المتبرّجات. فوجدتُ قصصهم محلَّ عبرةٍ تسيل بذكرها العبرات، ولا ترقأ عند تصوّرها الدموع الجاريات. ولما رأيتُ ما رأيتُ، أخذتني الرقّة فبكيتُ، وناجيتُ نفسي بأن هذه الدنيا ليست إلا كغدّار، وليس مآلها إلا مرارةُ خيبةٍ وتبار. وأرهقتني دار الدنيا بضيقها، وأُلقي في قلبي أن أعاف بريقَها، فصرف الله عني حبّ الدنيا ورؤية زينتها، والتمايل على شجرتها وثمرتها. وكنت أحبّ الخمول، وأؤثر زاوية الاختفاء، وأفرّ من المجالس ومواقع العُجْب

والرياء. فأخرجني الله من حجرتي، وعَرّفني في النّاس، وأنا كارهٌ من شهرتي، وجعلني خليفة آخر الزمان، وإمام هذا الأوان، وكلّمني بكلمات نذكر شيئا منها في هذا المقام، ونؤمن بها كما نؤمن بكتب الله خالق الأنام.

وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أحمد، بارك الله فيكَ. ما رميتَ إذ رميتَ، ولكن الله رمَى. الرحمن علّم القرآن. لتنذر قومًا ما أُنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُل إني أُمرت وأنا أوّلُ المؤمنين. قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا. كلّ بركة من محمّد ﷺ، فتبارك من علّم وتعلّم. وقالوا إنْ هذا إلا اختلاقٌ. قل الله، ثم ذَرْهم في خوضهم يلعبون. قُلْ إن افتريتُه فعليّ إجرام شديد. ومن أظلم ممّن افترى على الله كذبا. هو الذي أرسل رسوله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه. لا مبدِّلَ لكلماته. يقولون أَنّى لك هذا، إنْ هذا إلا قول البشر، وأعانه عليه قومٌ آخرون. أفتأتون السّحر وأنتم تبصرون. هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعدونَ. من هذا الذي هو مَهينٌ جاهل أو مجنون. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مُسلمون. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون. ولقد لبثتُ فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون. هذا من رحمة ربّك، يتمّ نعمته عليك. فبشّر، وما أنت بنعمة ربّك بمجنون. لك درجة في السماء

وفي الذين هم يُبْصرون. ولك نُري آيات، ونهدم ما يعمرون. الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون. وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها. قال إني أعلمُ ما لا تعلمون. إني مُهينٌ من أراد إهانتك. إني لا يخاف لديّ المرسلون. كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي. وهم من بعد غلبهم سيغلبون. إن الله مع الذين اتّقَوا والذين هم محسنون. أريك زلزلة الساعة. إني أحافظ كلّ من في الدار. وامتازوا اليوم أيّها المجرمون. جاء الحق وزهق الباطل. هذا الذي كنتم به تستعجلون. بشارة تلقّاها النّبيّون. أنت على بيّنة من ربك. كفيناك المستهزئين. هل أُنبّئكم على من تَنــزَّلُ الشيــاطين، تَنــزَّلُ على كلّ أفّاك أثيم. ولا تيأس من روح الله. ألا إنّ روح الله قريب. ألا إنّ نصر الله قريب. يأتيك من كلّ فجّ عميق. يأتون من كل فجّ عميق. ينصرك الله من عنده. ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء. لا مبدّل لكلمات الله. قال ربّك إنه نازل من السماء ما يرضيك. إنا فتحنا لك فتحًا مبينا. فتحُ الوليّ فتحٌ، وقرّبناه نجيّا. أشجَعُ الناس. ولو كان الإيمان مُعلّقًا بالثريّا لناله. أنار الله برهانه. كنتُ كنــزًا مخفيّا فأَحْبَبْتُ أن أُعرَف. يا قمر يا شمس، أنت مني وأنا منك. إذا جاء نصر الله، وانتهى أمر الزمان إلينا، وتمّت كلمة ربّك. أليس هذا بالحق. ولا تصعّر لخلق الله ولا تسأم من الناس. ووسِّعْ مكانك. وبشِّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربّهم. واتل عليهم ما أوحي إليك من

ربّك. أصحاب الصفّة، وما أدراك ما أصحاب الصفّة. ترى أعينهم تفيض من الدمع. يصلّون عليك، ربّنا إنّنا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان، وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا. يا أحمد فاضت الرحمة على شفتيك. إنّك بأَعْيننا. سمّيتك المتوكّل. يرفع الله ذكرك، ويتمّ نعمته عليك في الدُّنيا والآخرة. بوركت يا أحمد، وكان ما بارك الله فيك حقّا فيك. شأنك عجيب، وأجرك قريب. الأرض والسماء معك كما هو معي. أنت وجيه في حضرتي، اخترتك لنفسي. سبحان الله تبارك وتعالى. زاد مجدك. ينقطع آباؤك، ويبدأ منك. وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيث من الطيّب. إذا جاء نصر الله والفتح، وتمّت كلمة ربّك. هذا الذي كنتم به تستعجلون. أردتُ أن أستخلف فخلقتُ آدم. دنا فتَدلّى فكان قاب قوسين أو أدنَى. يُحيي الدّين ويقيم الشريعة. يا آدم اسكن أنت وزَوْجك الجنّة. يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنّة. يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنّة. نُصرت، وقالوا لاتَ حين مناص. إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ردّ عليهم رجل من فارس. شكر الله سعيه. أم يقولون نحن جميع منتصر، سيُهْزَم الجَمْع ويولّون الدُّبر. إنّك اليوم لدينا مكين أمين، وإنّ عليك رحمتي في الدُّنْيا والدين، وإنك من المنصورين. يحمدك الله ويمشي إليك. سبحان الذي أسرى بعبده ليلا. خلق آدم فأكرمه. جَرِيُّ الله في حلل الأنبياء. بشرى لك يا أحمدي، أنت مرادي ومعي، سرُّك سرِّي.

إني ناصرك، إني حافظك، إني جاعلك للنّاس إمامًا. أكان للناس عجبًا، قل هو الله عجيب. لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. وتلك الأيام نداولها بين الناس. وقالوا إن هذا إلا اختلاق. قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله. إذا نصَر الله المؤمن جعل له الحاسدين في الأرض. ولا رادَّ لفضله. فالنار موعدهم. قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنّهم هُمُ السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون. قل جاءكم نور من الله فلا تكفروا إن كنتم مؤمنين. أم تسألهم مِن* خَرْجٍ، فهم من مغرمٍ مُثقَلون. بل أتيناهم بالحق فهم للحق كارهون. تَلطَّفْ بالناس وتَرحَّمْ عليهم، أنت فيهم بمنــزلة موسى، واصبر على ما يقولون. لعلّك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين. لا تقفُ ما ليس لك به علمٌ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون. واصنَعِ الفُلكَ بأعيننا ووحينا. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم. وإذ يمكر بك الذي كفر. أوقدْ لي يا هامانُ لعلّي أطّلع إلى إله موسى، وإني لأظنّه من الكاذبين. تبّت يدا أبي لهب وتبّ. ما كان له أن يدخل فيها إلا خائفا. وما أصابك فمن الله. الفتْنة ههنا، فاصبر كما صبر أولو العزم. ألا إنّها فتنةٌ من الله، ليحبّ حبّا جمّا، حبًّا من الله العزيز الأكرم. شاتان

* لفظ "مِن" ليس في القرآن الكريم، ولكن جاء لفظ "مِن" في الإلهام. منه.

تُذبحان، وكلّ من عليها فان. ولا تهنوا ولا تحزنوا. أليس الله بكاف عبده. ألم تعلم أن الله على كلّ شيءٍ قدير. وإنْ يتّخذونك إلا هزوا، أهذا الذي بعث الله؟ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إلهٌ واحد. والخير كلّه في القرآن، لا يمسّه إلا المطهَّرون. قل إنّ هدى الله هو الهدى. وقالوا لولا نُــزّل على رجل من القريتين عظيم. وقالوا أَنَّى لك هذا، إنّ هذا لمكر مكرتموه في المدينة. ينظرون إليك وهم لا يبصرون. قُل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله. عسى ربّكم أن يرحمكم، وإن عدتم عُدْنا، وجعلنا جهنّم للكافرين حصيرا. وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين. قل اعملوا على مكانتكم، إني عامل، فسوف تعلمون. لا يُقْبَل عملٌ مثقال ذرّة من غير التقوى. إنّ الله مع الذين اتّقَوا والذين هم محسنون. قل إن افتريته فعليّ إجرامي، ولقد لبثتُ فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون. أليس الله بكاف عبده، ولنجعله آية للناس ورحمة منّا، وكان أمرًا مقضيّا. قول الحق الذي فيه تمترون. سلام عليك. جُعلتَ مباركا. أنت مبارك في الدنيا والآخرة. أمراض الناس وبركاته. تَبَخْتَرْ فإن وقتك قد أتى، وإنّ قدم المحمديّين وَقَعَتْ على المنارة العليا. إن محمدًا سيّد الأنبياء، مطهَّرٌ مصطفى. إنّ الله يصلح كلّ أمرك، ويعطيك كلّ مراداتك. ربُّ الأفواج يتوجّه إليك، كذلك يري الآيات ليُثْبتَ أنّ القرآن كتاب الله وكلمات خرجت من فوهي. يا عيسى إني متوفّيك ورافعك إليّ وجاعل الذين

اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. ثلّة من الأوّلين، وثلّة من الآخرين. إني سأري بريقي، وأرفعك من قدرتي. جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصول قويٍّ شديد صول بعد صول. أنت منّي بمنـزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتُعرَف بين الناس. أنت مني بمنـزلة عرشي، أنت مني بمنـزلة ولدي[1]، أنت مني بمنـزلة لا يعلمها الخَلْقُ. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة. إذا غضبتَ غضبتُ، وكلّ ما أحببتَ أحببتُ. من عادى لي وليًّا فقد آذنته للحرب. إني مع الرسول أقوم، وألوم من يلوم، وأعطيك ما يدوم. يأتيك الفرج. سلامٌ على إبراهيم[2]. صافيناه ونجّيناه من الغمّ. تفرّدنا بذلك، فاتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى. إنّا أنـزلناه قريبًا من القاديان. وبالحقّ أنـزلناه وبالحق نزل. صدق الله ورسوله، وكان أمر الله مفعولاً. الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم. لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون. آثرك الله على كلّ شيء. نـزلتْ سُرُرٌ من السماء، ولكن سريرك وُضع فوق كل سرير. يريدون أن

---

[1] سبحان الله وتعالى مما أن يكون له ولد، ولكن هذا استعارة كمثل قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ ✧، والاستعارات كثيرةٌ في القرآن، ولا اعتراض عليها عند أهل العلم والعرفان. فهذا القول ليس بقول منكر، وتجد نظائره في الكتب الإلهية وأقوال قوم روحانيين يُسمَّون بالصوفية، فلا تعجلوا علينا يا أهل الفطنة. منه.

✧ *سورة البقرة: ٢٠١*

[2] سمّاني ربي إبراهيم، وكذلك سمّاني بجميع أسماء الأنبياء من آدم إلى خاتم الرسل وخير الأصفياء، وقد ذكرته في كتابي "البراهين"، فليرجع إليه من كان من الطالبين. منه.

يطفئوا نور الله، ألا إنّ حزب الله هم الغالبون. لا تَخَفْ إنك أنت الأعلى. لا تخف، إني لا يخاف لديّ المرسلون. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون. ننزل عليك أسرارا من السماء، ونمزّق الأعداء كلّ ممزّق. ونري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون. فلا تحزن على ما قالوا، إنّ ربّك لبالمرصاد. ما أُرسل نبيّ إلا أخزى به الله قومًا لا يؤمنون. سننجيك، سنعليك، سأُكرمك إكرامًا عجبا. أُريحك ولا أُجيحك، وأُخرج منك قومًا. ولك نري آيات، ونهدم ما يعمرون. أنت الشيخ المسيح الذي لا يضاع وقته. كمثلك دُرٌّ لا يضاع. لك درجة في السماء وفي الذين هم يبصرون. يُبدي لك الرحمن شيئا. يخرّون على المساجد. يخرّون على الأذقان. ربّنا اغفرْ لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين. تالله لقد آثرك الله علينا وإنْ كنّا لخاطئين. لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. يعصمك الله من العدا، ويسطو بكل من سَطا، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. أليس الله بكاف عبده. يا جبال أَوِّبي معه والطّير. سلام قولاً من ربّ رحيم، وامتازوا اليوم أيها المجرمون. إني مع الروح معك ومع أهلك، لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون. إن وعد الله أتى، وركل وركى، فطوبى لمن وجد ورأى، أمم يَسَّرْنا لهم الهُدى، وأمم حقّ عليهم العذاب. وقالوا لست مرسلا، قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب. ينصركم الله في وقت

عزيز. حُكْمُ الله الرحمن لخليفة الله السلطان. يؤتى له الملك العظيم، وتُفتح على يده الخزائن. ذلك فضل الله، وفي أعينكم عجيب. قل يا أيها الكفار إني من الصادقين. فانتظروا آياتي حتى حين. سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم. حُجّة قائمة وفتح مبين. إن الله يفصل بينكم، إنّ الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب. وَضَعْنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك، وقُطع دابر القوم الذين لا يؤمنون. قل اعملوا على مكانتكم إني عاملٌ فسوف تعلمون. إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون. هل أتاك حديث الزلزلة. إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرضُ أثقالها، وقال الإنسان ما لها، يومئذ تحدّث أخبارها، بأن ربّك أوحى لها. أحسب النّاس أن يتركوا. وما يأتيهم إلا بغتة. يسألونك أحقٌّ هو؟ قل إي وربّي إنّه لحقٌّ، ولا يُرَدّ بأسه عن قوم يعرضون. الرحى تدور، وينــزل القضاء. لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة. لو لم يفعل الله ما فعل لأحاطت الظلمة على الدنيا جميعها. أريك زلزلة الساعة. يريكم الله زلزلة الساعة. لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهّار. أري بريق آيتي هذه خمس مرّات، ولو أردت لجعلت ذلك اليوم يوم خاتمة الدنيا. إنّي أحــافظ كلّ من في الدار. أريك ما يرضيك. قل لرفقائك إنّ وقت إظهار العجائب بعد العجائب قد أتى. إنّا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر. إني أنا التوّاب. من جاءك

جاءني. سلام عليكم طبتم. نحمدك ونصلّي صلاة العرش إلى الفرش. نزلتُ لك، ولك نُرِي آيات. الأمراض تشاع والنفوس تضاع. إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. إنّه أوى القرية. لولا الإكرام لهلك المقام. إني أحافظ كل من في الدار. ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم. أمنٌ في دارنا التي هي دار المحبّة. تزلزل الأرض زلزالاً شديدًا، ويجعل عاليها سافلها. يوم تأتي السّماء بدخان مبين، وترى الأرض يومئذ خامدة مصفرّة. أكرمك بعد توهينك. يتمنّون ألا يتمّ أمرك، والله يأبى إلا أن يتمّ أمرك. إني أنا الرحمن، سأجعل لك سهولة في كل أمر. أريك بركات من كلّ طرف. نزلت الرحمة على ثلاث: العين وعلى الأُخْرَيَيْن. تُرَدّ إليك أنوار الشباب. ترى نسلاً بعيدًا. إنّا نبشّرك بغلامٍ مَظهَرِ الحقّ والعُلَى، كأنّ الله نزل من السّماء. إنّا نبشّرك بغلام نافلة لك. سبّحك الله ورافاك، وعلّمك ما لم تعلم. إنه كريم تمشّى أمامك، وعادى لك من عادى. وقالوا إنْ هذا إلا اختلاق. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. يلقي الرّوح على من يشاء من عباده. كلّ بركة من محمد ﷺ، فتبارك من علّم وتعلّم. إنّ علم الله وخاتمه فعَل فعلاً عظيما. إني معك ومع أهلك ومع كلّ من أحبّك. برق اسمي لك، وكُشف العالم الروحاني عليك، فبصرك اليوم حديد. أطال الله بقاءك. تعيش ثمانين حولا أو تزيد عليه خمسة أو أربعة أو يقّل كمثلها. (ترجمة الهندي): وإني أباركك ببركاتٍ عظيمة حتى إن

الملوك يتبرّكون بثيابك. (ترجمة الهندي): لك برق اسمي، وإني أريك خمسين أو ستّين آية سوى آيات أَريتها. إن للمقبولين أنواع نموذج وعلامات، ويعظّمهم الملوك وذوو الجبروت، ويقال لهم أبناء ملوك السّلامة. أيّها العدو إنّ سيف الملائكة مسلول أمامك، لكنّك ما عَرفتَ الوقت. ليس الخير في أن يحارب أحد مَظهَرَ اللهِ. رَبِّ فَرِّقْ بين صادق وكاذب، أنتَ ترى كلّ مصلح وصادق. ربّ كلّ شيءٍ خادمك، ربّ فاحفَظْني وانصرني وارحمني. قاتلك الله (أيّها العدو)، وحفظني من شرّك. جاءت الزلزلة، قوموا لنصلّي ونرى نموذج القيامة. يُظهرك الله ويثني عليك. لولاك لما خلقتُ الأفلاك. ادعوني أستجب لكم. (ترجمة الفارسي): اليد يدك، والدعاء دعاؤك، والترحّم من الله. واقعة الزلزلة. عفَت الديار محلُّها ومقامُها، تتبعها الرادفة. (ترجمة الفارسي●): عاد الربيع وتمّ قول الله مرةً أُخرى. (أيضا): عاد الربيع وجاءت أيّام الثلج وكثرة المطر. ربّ أَخِّرْ وقت هذا. أخَّره الله إلى وقت مسمّى. ترى نصرًا عجيبًا. ويخرّون على الأذقان. ربنا اغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين. يا نبيَّ الله كنتُ لا أعرفك. لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين. تَلطَّفْ بالناس وترحَّمْ عليهم، أنت فيهم بمنــزلة موسى، يأتي عليك زمنٌ كمثل زمن موسى. إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهدًا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا. (ترجمة الهندي): نزل من السماء لبن كثير فاحفظوه. إني آثرتك

● *هذا سهو، والصحيح: ترجمة الهندي، لأن الإلهام الأصلي باللغة الهندية. (الناشر)*

واخترتك. (ترجمة الهندي): أُعدّتْ لك حياة طيّبة. والله خير من كلّ شيء. عندي حسنة هي خير من جبل. (ترجمة الهندي): عليك سلام كثير مني. إنّا أعطيناك الكوثر. إنّ الله مع الذين اهتدوا، والذين هم صادقون. إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون. أراد الله أن يبعثك مقامًا محمودا. (ترجمة الهندي): ستظهر آيتان. وامتازوا اليوم أيها المجرمون. يكاد البرق يخطف أبصارهم. هذا الذي كنتم به تستعجلون. يا أحمد، فاضت الرحمة على شفتيك.كلام أُفصحتْ من لدُنْ ربّ كريم. (ترجمة الفارسي): إن في كلامك شيء لا دخل فيه للشعراء. ربّ عَلِّمْني ما هو خير عندك. يعصمك الله من العدا، ويسطو بكل من سطا. برز ما عندهم من الرماح. سأخبره في آخر الوقت[1] أنّك لست على الحق. إن الله رؤوف رحيم. إنا ألنّا لك الحديد. إنّي مع الأفواج آتيك بغتة. إني مع الرسول أجيب، أخطئ[2] وأصيب. وقالوا أنّى لك هذا؟ قل هو الله عجيبٌ. جاءني آيل[3] واختار، وأدار إصبعه وأشار. إنّ وعد الله أتى، وركل وركَى، فطوبى لمن

---

[1] هذا ما أوحى إليّ ربي في رجل خالفني وكفّرني وهو من علماء الهند المسمّى بأبي سعيد محمد حسين البتالوي. منه.

[2] سبحانه وتعالى من أن يخطئ، فقوله "أخطئ" قد ورد على طريق الاستعارة كمثل لفظ التردد المنسوب إلى الله تعالى في الأحاديث. منه.

[3] المراد من الآيل جبرئيل عليه السلام، وكذلك فهّمني ربي، ولما كان الأَوْل والإياب من صفات جبرئيل عليه السلام فلذلك سمّي بالآيل في كلام الله تعالى. منه.

وجد ورأى. الأمراض تشاع والنفوس تضاع. إنّي مع الرسول أقوم، أفطر وأصوم*، ولن أبرح الأرض إلى الوقت المعلوم، وأجعل لك أنوار القدوم، وأقصدك وأروم، وأعطيك ما يدوم. إنّا نرث الأرض، نأكلها من أطرافها. ونُقلوا إلى المقابر. ظفر من الله وفتح مبين. إن ربي قويّ قدير، إنه قويّ عزيز. حل غضبه على الأرض. إني صادق صادق، وسيشهد الله لي. (ترجمة الهندي): ائتنا يا ربَّنا الأزليّ الأبديّ آخذًا للسلاسل. ضاقت الأرض بما رحبت. ربِّ إني مغلوب فانتصِرْ، فسَحِّقْهم تسحيقًا. (ترجمة الهندي): قوم بعدوا من طريق الحياة الإنسانية. إنّما أمرك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون. (ترجمة الهندي): لّما كنتَ تدخل في منـــزلي مرّة بعد مرّة، فانظر هل مطَر سحاب الرحمة أو لا. إنّا أمَتْنا أربعة عشر دوابًّا. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. (ترجمة الفارسي): إنّ مآل الجاهل جهنم، فإن الجاهل قلّ أن تكون له عاقبة الخير. حصل لي الفتح، حصل لي الغلبة. إني أُمّرتُ من الرحمن، فأْتوني، إني حمى الرحمن. إنّي لأجد ريح يوسف لولا أَنْ تفنّدون. ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل. إنّا عفونا عنك. لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة. وقالوا إن هذا إلا اختلاق. قل لو كان من عند غير الله لوجدتم فيه اختلافًا كثيرا. قل عندي

* فيه إشارة إلى عذاب الطاعون إلى وقت، ثم تأخيره إلى وقت، كأنّ الله يفطر ويصوم. منه.

شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون. يأتي قمر الأنبياء، وأمرُك يتأتّى. وامتازوا اليوم أيها المجرمون. (ترجمة الهندي): تقع زلزلة فتشتدّ كلّ الشدّة، وتُجعل عالي الأرض سافلها. هذا الذي كنتم به تستعجلون. إنّي أحافظ كُلّ من في الدّار. سفينة وسكينة. إني معك ومع أهلك. أريد ما تريدون. الحمد لله الذي جعل لكم الصّهر والنسب. الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وآتاني ما لم يؤتَ أحد من العالمين. يس. إنّك لمن المرسلين، على صراط مستقيم، تنــــزيل العزيز الرحيم. أردت أن أستخلف فخلقت آدم. يحيي الدّين ويقيم الشريعة. (ترجمة الفارسي): إذا جاء زمان السُّلطان، جدّد إسلام المسلمين. إن السماوات والأرض كانتا رتقًا ففَتَقْناهما. قرب أجلك المقدّر. إنّ ذا العرش يدعوك. ولا نُبقي لك من المخزيات ذكرا. قَلَّ ميعاد ربّك ولا نبقي لك من المخزيات شيئًا. (ترجمة الهندي): قلّت أيّام حياتك، ويومئذ تزول السكينة من القلوب، ويظهر أمرٌ عجيب بعد أمر عجيب وآية بعد آية، ثم بعد ذلك يتوفّاك الله. جاء وقتك ونبقي لك الآيات باهرات. جاء وقتك ونبقي لك الآيات بيّنات. ربِّ توفَّني مسلمًا، وأَلْحقْني بالصالحين.

آمــــــــين

بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

عِلمي من الرحمن ذي الآلاءِ بالله حُزْتُ الفضلَ لا بدهَاءِ
كيف الوصول إلى مدارجِ شكرهِ نثني عليه وليس حولُ ثنـــاءِ
الله مولانا وكـــافلُ أمـــرنا في هذه الدنـــيا وبعـــد فناءِ
لولا عنايـــته بـــزمنِ تطَـــلُّبي كادت تُعفِّيني سيولُ بكائي
بشرى لنا إنا وجدْنا مـــؤنسًا ربًّا رحيمًا كاشِفَ الغَـــمّاءِ
أُعطيتُ مِن إِلْفٍ معارفَ لُبَّها أُنزلتُ مِن حِبٍّ بـــدار ضياءِ
نتلو ضياءَ الحقّ عند وضوحه لَسْنا بمـــبتاع الدجى ببَراءِ
نفسي نَأَتْ عن كل ما هو مظلم فأنختُ عند منوِّري وَجْنائي
غلبَتْ على نفسي محبةُ وجههِ حتى رميتُ النفسَ بالإلغاءِ
لما رأيت النفسَ سدّتْ مهجتي ألقيتُها كالَمْيت في البيداءِ
الله كهفُ الأرض والخضراءِ ربٌّ رحيم ملجأُ الأشياءِ
بَـــرٌّ عَطوفٌ مأمَنُ الغرماءِ ذو رحمةٍ وتبرُّعٍ وعطاءِ
أحدٌ قـــديـــم قائم بوجوده لم يتخـــذْ ولدًا ولا الشركاءِ
وله التفرّد في المَحامد كلـــها وله علاء فـــوق كلّ عـــلاءِ

الــعاقلـــون بعالَميـــن يرونهُ والعارفون به رأوا الأشيـــاءِ

هـــذا هو المعبود حقًّا للورى فـــردٌ وحيد مـــبدء الأضواءِ

هذا هو الحِبُّ الذي آثرتُهُ ربُّ الورى عين الهدى مولائي

هاجتْ غمامةُ حُبِّه فكأنّها ركبٌ على عُسْـــبُورةِ الحَذْواءِ

ندعوه في وقت الكروب تضرّعًا نرضى به في شـــدّة ورخاءِ

حَوجاءُ أُلْفـــته أثـــارت حُرّتي ففدا جَناني صـــولةَ الحوجاءِ

أعطى فما بقيتْ أمـــاني بعده غمَرتْ أيادي الفيض وجهَ رجائي

إنا غُـــمسنا من عنـــاية ربنا في النور بعد تمـــزُّق الأهواءِ

إنّ المحبّة خـــمَّرتْ في مهجتي وأرى الودادَ يلوح في أهبائي

إني شربت كؤوس موت للهدى فوجدتُ بعد الموت عينَ بقاءِ

إني أُذِبتُ من الوداد ونارهِ فأرى الغروبَ يسيل من إهرائي

الدمع يجري كالسيول صبابةً والقلب يُشوَى من خيال لقاءِ

وأرى الوداد أنارَ باطنَ باطني وأرى التعشق لاحَ في سِيمائي

الخَلقُ يبغُون اللذاذةَ في الهوى ووجدتُها في حُرقـــةٍ وصَلاءِ

الله مقصد مهـــجتي وأريده في كل رشحِ القلم والإملاءِ

يا أيّها الناس اشربوا من قِربتي قد مُلئ من نور المفيض سِقائي

قوم أطاعوني بصـــدق طويّةٍ والآخـــرون تكبّروا لغطاءِ
حسدوا فسبّوا حاسدين و لم يزل حسَدتْ لئامٌ كلَّ ذي نعماءِ
مَن أنكر الحقَّ المـــبين فـــإنّهُ كلبٌ وعَقب الكلبِ سِرْبُ ضِراءِ
آذَوا وسبّوني وقالوا كافــرٌ فاليوم نقضي دَينَهم برِباءِ
واللهِ نحن المسلمون بفضلـــه لكن نزا جهلٌ على العلماءِ
نـــختار آثـــار النَّبـــيّ وأَمْرَه نقفو كتابَ الله لا الآراءِ
إنّا بَراءٌ في مناهـــج ديـــنـــه مِن كلّ زنديق عـــدوٍّ دَهاءِ
إنا نطيع محمّدًا خيرَ الورى نورُ المُهَيمن دَافِع الظَّلماءِ
أفنحن من قوم النصارى أكفَرُ وَيلٌ لـــكم ولهـــذه الآراءِ
يا شيخَ أرضِ الخبث أرضِ "بطالة" كفّرتني بالبغض والشحناءِ
آذيتَني فَاخْـــشَ العواقب بعدهُ والنّار قد تبدو من الإيراءِ
تبّتْ يداك تبِعتَ كلَّ مفاسدٍ زلّتْ بك القدمانِ في الأنحاءِ
أودى شَبابُكَ والنوائبُ أخرفتْ فالوقت وقت العجز لا الخيلاءِ
تبغي تباري والدوائرَ مِن هوى فعليكَ يسقُط حجرُ كلّ بلاءِ
إني من المَولى فكيف أُتَبَّـــرُ فاخْشَ الغيور ولا تَمُتْ بجفاءِ
أفتضرِبنَّ على الصَّفاة زجاجةً لا تنتحرْ واطلبْ طريق بقاءِ

اُتْرُكْ سبيل شرارة وخباثة هَوِّنْ عليك ولا تمُتْ بعناءِ
تُبْ أيّها الغالي وتأتي ساعة تمسي تعُضّ يمينَك الشلّاءِ
يا ليت ما ولدتْ كمثلك حاملٌ خفّاش ظلمات عدوّ ضياءِ
تسعى لتأخذني الحكومةُ مجرمًا ويل لكلّ مزوِّر وَشّاءِ
لو كنتُ أُعطيتُ الولاءَ لعُفْتُه ما لي ودنياكم؟ كفانِ كِسائي
مُتنا بموت لا يراه عدوُّنا بعُدتْ جنازتنا من الأحياءِ
تُغري بقولٍ مفترًى وتخرّص حكّامَنا الظانين كالجهلاءِ
يا أيّها الأعمى أتُنكر قادرًا يحمي أحبّتَه من الإيواءِ
أنَسيتَ كيف حمَى القدير كليمَه أو ما سمعتَ مآلَ شمسِ حِراءِ
نحو السماء وأمرِها لا تنظُرَنْ في الأرض دُسَّتْ عينُك العمياءِ
غرّتْك أقوالٌ بغير بصيرة سُترتْ عليك حقيقة الأنباءِ
أدخلتَ حزبك في قليبِ ضلالة أفهذه من سيرة الصلحاءِ
جاوزتَ بالتفكير من حدّ التقى أشَقَقتَ قلبي أو رأيتَ خفائي
كَمِّلْ بخُبثك كلَّ كَيدٍ تقصدُ والله يكفي العبدَ للإزراءِ
تأتيك آياتي فتعرف وجهها فاصبرْ ولا تترُكْ طريق حياءِ
إني كتبتُ الكتبَ مثلَ خوارقٍ اُنظُرْ أعندك ما يصوب كمائي

إن كنت تقدر يا خصيم كقدرتي فاكتُبْ كمثلي قاعدا بحذائي

ما كنتَ ترضى أن تُسمّى جاهلاً فالآن كيف قعدتَ كاللَّكْناءِ

قد قلتَ للسّفهاء إنّ كتابهُ عَفصٌ يُهيج القيءَ من إصغاءِ

ما قلتَ كالأدباء قُلْ لي بعدما ظهرتْ عليك رسائلي كقُياءِ

قد قلتَ إني باسل متوغلٌ سَمَّيتَني صيدًا من الخيلاءِ

اليوم مني قد هرَبتَ كأرنبٍ خوفًا من الإخزاء والإعراءِ

فَكِّرْ أما هذا التخوّف آية رعبًا من الرحمن للإدراءِ

كيف النضال وأنتَ تهرُب خشيةً اُنظُرْ إلى ذلٍّ منَ اسْتعلاءِ

إنّ المهيمن لا يحبّ تكبّرًا من خلقه الضعفاء دود فناءِ

عُفِّرتَ من سهمٍ أصابك فاجئًا أصبحتَ كالأموات في الجَهْراءِ

الآن أين فررت يا ابنَ تصلّفٍ قد كنت تحسبنا من الجهلاءِ

يا من أهاج الفتن قُمْ لنضالنا كنا نعدّك نَوْجةَ الحَثْواءِ

نطقي كَمَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ جَنّةٍ قولي كقِنْوِ النخل في الخَلْقاءِ

مُزِّقتَ لكنْ لا بضرب هَراوةٍ بل بالسيوف الجاريات كماءِ

إن كنت تحسدني فإني باسل أُصلِي فؤاد الحاسد الخطّاءِ

كذّبتني كفّرتني حقّرتني وأردتَ أن أُسفَى كمثل عَفاءِ

هذا إرادتك القديمة مِن هوًى والله كـــهفي مُهلكُ الأعداءِ
إني لشرُّ النّـــاس إن لم يأتِني نصرٌ من الرحـــمن للإعلاءِ
مـــا كان أمر في يديك وإنّهُ ربٌّ قدير حافظُ الضعفـــاءِ
الكبر قد ألقاك في دركِ اللظى إنّ الـــتكبّـــر أردأُ الأشيـــاءِ
خَفْ قهرَ ربٍّ ذي الجلال إلى متى تقفو هواك وتَنـــزُوَنْ كظِباءِ
تبغي زوالي والمهيمن حافظي عاديتَ ربًّا قادرًا بمِـــــرائي
إنّ المقرَّب لا يضاع بفتـــنةٍ والأجر يُكتب عند كُلِّ بلاءِ
ما خاب مَن خاف المهيمنَ ربَّهُ إنّ المهيـــمن طالبُ الطلباءِ
هل تطمَع الـــدنيا مذلّةَ صادق هيهاتَ ذاك تخـــيُّل السفهاءِ
إنّ العواقب للذي هو صالح والكَرّة الأولى لأهل جفاءِ
شهدتْ عليه، خصيمِ، سُنّةُ ربِّنا في الأنبياءِ وزمـــرةِ الصلحاءِ
مُتْ بالتغيظ واللَّظَى ياحاسدي إنا نموت بعزّةٍ قَـــعْـــساءِ
إنّا نرى كلَّ العلى مِن ربّنا والخَلْقُ يأتـــينا لبَغْـــيِ ضياءِ
هم يذكرونك لاعنينَ وذكرُنا في الصـــالحات يُعَدُّ بعد فناءِ
هل تَهْدِمَنَّ القصرَ قصرَ إلهنا هل تُحرِقَنْ ما صنَعهُ بنّائي
يرجون عثرةَ جَدِّنا حسداؤُنا ونذوق نعماءً على نعماءِ

لا تحسبنْ أمري كأَمْرٍ غُمّةٍ جاءت بك الآيات مثل ذُكاءِ
جاءت خيارُ الناس شوقًا بعدما شمُّوا رياحَ المِسك من تلقائي
طاروا إليّ بألفة وإرادة كالطَّيرِ إذْ يَأْوي إلى الدَّفْواءِ
لفَظتْ إليّ بلادُنا أكبادَها ما بقي إلا فضلة الفضلاءِ
أو مِن رجال الله أُخْفيَ سرُّهم يأْتونني من بعدُ كالشهداءِ
ظهرتْ من الرحمن آيات الهدى سجدتْ لها أمم من العرفاءِ
أما اللئام فينكرون شقاوةً لا يهتدون بهذه الأضواءِ
هم يأْكلون الجِيْفَ مثل كلابنا هم يشرَهون كأَنْسُرِ الصحراءِ
خَشَّوا ولا تخشى الرجالُ شجاعةً في نائبات الدّهر والهيجاءِ
لما رأيتُ كمالَ لطفِ مهيمني غَاب البلاء فما أحسُّ بلائي
ما خاب مثلي مؤمن بل خصمُنا قد خاب بالتكفير والإفتاءِ
الغَمْرُ يبدو* ناجذيه تغيّظًا اُنظُرْ إلى ذي لوثة عجماءِ
قد أسخطَ المولى ليُرضي غيره واللهُ كان أحقَّ للإرضاءِ
كسّرتُ ظرف علومهم كزجاجة فتطايروا كتطاير الوَقْعاءِ

* هكذا ورد في الأصل، ويبدو أنه سهو، والصحيح: "يبدي"، كما تدل عليه الترجمة الفارسية. (الناشر)

قد كفّروا مَن قال إني مسلم لمــقالةِ ابنِ بطالــةٍ وغُواءِ
خوف المهيمن ما أرى في قلبهم فارتْ عُيونُ تــمرّدٍ وإبــاءِ
قد كنتُ آملُ أنهم يخشونهُ فاليوم قد مالوا إلى الأهــواءِ
نَضَّوا الثياب ثيابَ تقوى كلُّهم ما بقي إلا لِبْــسة الإغــواءِ
هل من عفيف زاهدٍ في حزبهم أو صالحٍ يخشى زمان جزاءِ
والله ما أدري تــقيًّا خائفًا في فِرقة قاموا لــهدم بــنائي
ما إنْ أرى غيرَ العمائم واللحى أو آنُفًا زاغت من الخيــلاءِ
لا ضيرَ إن ردّوا كلامي نخوةً فسيَنجَعَنْ في آخَــرين ندائي
لا تنظُــرَنْ غَرْوًا إلى إفتائهم غُسٍّ تلا غُسًّا بنَقْعِ عَماءِ
قد صار شيطان رجيم حِبَّهُمْ يمسي ويضحي بينهم لــلقاءِ
أعمى قلوبَ الحاسدين شرورُهم أعرى بواطنَهم لباسُ رِياءِ
آذَوا وفي سُبل المهيمن لا نرى شيئًا ألذَّ لنا من الإيذاءِ
ما إنْ أرى أثقالهم كحديدة إني طليح السَّــيحِ والأعباءِ
نفسي كعُسْبُرةٍ فأُحنِقَ صلبُها مِن حمل إيذاء الورى وجفاءِ
هذا ورَبِّ الصــادقين لأَجتني نِعم الجنى من نخلــة الآلاءِ
إنّ اللــئام يحقِّرون وذمُّــهم ما زادني إلا مقــام سَــناءِ

زَمَعُ الأناس يحملقون كثعلبٍ ... يــؤذونني بتحــوُّب ومُواءِ

والله ليس طريقهم نهج الهدى ... بل مُنْية نشأت من الأهواءِ

أعرضتُ عن هذيانهم بتصامم ... وحسبتُ أن الشر تحت مِراءِ

إنّا صبرنا عند إيذاء العــدا ... فعَلَوا كمثل الدُّخِّ مِن إغضائي

ما بقي فــيهم عفّــةٌ وزهادة ... لا ذرّةٌ من عيشةٍ خَشْناءِ

مالوا إلى الدنيا الدنيّة مِن هوًى ... فرّوا من البأساءِ والضرّاءِ

صالوا من الأوباش حزبُ أراذلٍ ... فكأنهم كالخِثْيِ للإحماءِ

لما كتبتُ الكتب عند غلوّهم ... ببلاغة وعذوبــة وصفــاءِ

قالوا قرأنا ليس قولاً جيّدًا ... أو قول عاربةٍ من الأدبــاءِ

عرب أقام ببيتــه مــتسترًا ... أملَى الكتابَ ببكرة ومساءِ

اُنظُرْ إلى أقوالهم وتنــاقُضٍ ... ســلَب العنــادُ إصابة الآراءِ

طَورًا إلى عربٍ عــزَوه وتارة ... قالوا كلام فاسد الإمــلاءِ

هذا من الرحمن يا حزبَ العدا ... لا فِعْل شاميٍّ ولا رفقــائي

أعلى المهيمنُ شأنَنا وعلومنا ... نبني منازلَنا على الجَــوزاءِ

خَلَّوا مقامَ المولــويّــةِ بعدَه ... وتَستّروا في غَيهب الخَوقاءِ

قد حُدّدتْ كالمرهفات قريحتي ... ففهِمتُ ما لم يفهموا أعدائي

هذا كتابي حازَ كلَّ بلاغــة بَهَر العقولَ بنضرة وبهاءِ
الله أعطاني حدائقَ علمــهِ لولا العناية كنتُ كالسفهاءِ
إنــي دعوت الله ربًّا محسنًا فأرى عيونَ العلم بعد دعائي
إنّ المهيمن لا يُعِــزّ بــنخوةٍ إنْ رُمْتَ إعزازًا فكُنْ كعَفاءِ
واللهِ قد فرّطتَ في أمري هوًى وأبيتَ كالمستعجل الخطّاءِ
الحُــرّ لا يستعجلنْ بل إنهُ يرنو بإمعان وكشفِ غطاءِ
يخشى الكرامُ دعاءَ أهل كرامة رُحمًا على الأزواج والأبناءِ
عندي دعاء خاطفٌ كصواعق فحَذارِ ثم حذارِ مِن أرجائي
والله إني لا أريد إمامة هذا خيالك مِن طريق خطاءِ
إنّــا نريد الله راحةَ روحِــنا لا سُــوددًا ورياسة وعــلاءِ
إنا توكّلْــنا على خَلّاقنا معطي الجزيل وواهب النعماءِ
من كان للرحمن كان مكرَّمًا لا زال أهلَ الــمجد والآلاءِ
إن العدا يؤذونــني بخــباثة يؤذون بالبهــتان قَــلْبَ بَراءِ
هم يُذعِرون بصيحة ونعُدّهم في زُمرِ موتَى لا من الأحياءِ
كيف التخوف بعد قرب مشجِّعٍ مِن هذه الأصوات والضوضاءِ
يسعى الخبيث ليُطفئنْ أنوارَنا والشمس لا تخفَى من الإخفاءِ

إن المـــهيمن قد أتمّ نـــوالَهُ فضلاً عليّ فصرتُ مِن نُحلاءِ

نعطي العلومَ لدفعِ متربةِ الورى طالتْ أياديـــنا على الفقراءِ

إن شئتَ ليست أرضنا ببعيدة مِن أرضك المنحوسة الصَّيداءِ

صعبٌ عليك زمانُ سُؤْلِ محاسِبٍ إن متَّ يا خصمي على الشحناءِ

ما جئتُ مِن غير الضرورة عابثًا قد جئتُ مثلَ المُزْنِ في الرَّمْضاءِ

عينٌ جرتْ لعِطاشِ قومٍ أُضجروا أو مـــاءُ نَقْعٍ طافِـــح لظِماءِ

إني بأفضال المهيمن صـــادق قد جئتُ عند ضرورة ووباءِ

ثم اللـــئام يكـــذّبون بخبثهم لا يقبَلون جوائزي وعطائي

كَلِـــمُ اللئام أسنّـــةٌ مذروبة وصدورهم كالحَرّة الرَّجْلاءِ

من حارب الصدّيقَ حارب ربَّهُ ونبـــيَّه وطوائـــفَ الصلحاءِ

واللهِ لا أدري وُجوهَ كُشاحةٍ مِن غير أن البخل فارَ كماءِ

ما كنتُ أحسَب أنهم بعداوتي يذرون حكمَ شريعةٍ غـــرّاءِ

عـــاديتُـــهم للهِ حين تلاعبوا بالدِّين صوّالين مِن غُلواءِ

رُبِّـــيـــتُ مِن دَرِّ النبيِّ وعينِهِ أُعطيتُ نورًا من سراجِ حِراءِ

الشمس أُمٌّ والهلال سلـــيلُها ينمو وينشأ مِن ضياء ذُكاءِ

إني طلعتُ كمثل بدرٍ فانظروا لا خير في مَن كان كالكَهْماءِ

يا ربّ أيِّدْنا بفضلك وانتقِمْ ممّن يــدُعّ الحقَّ كالغُثّــاءِ
يا ربّ قومي غلّسوا بجهالة فارحَمْ وأنزِلْهم بدار ضياءِ
يا لائمي إن العواقب للتُّقى فاربَأْ مآلَ الأمر كالعقلاءِ
الله أيّدنـــي وصافى رحمةً وأمدّني بالنعم والآلاءِ
فخرجتُ مِن وَهْدِ الضلالة والشقا ودخلتُ دار الرشـــد والإدراءِ
والله إن الناس سَقــطٌ كُلّهم إلا الذي أعطــاه نعمَ لقاءِ
إن الذي أروى المهيمنُ قلبَه تـــأتيه أفواج كمـــثل ظِماءِ
ربّ الســـماء يُعزّه بعنايـــة تعـــنو له أعـــناقُ أهل دهاءِ
الأرض تُجعل مثلَ غلمان له تـــأتي له الأفلاك كالخدماءِ
مَن ذا الذي يُخزي عزيزَ جنابِه الأرض لا تُفني شموسَ سماءِ
الخَلْقُ دودٌ كلهم إلا الذي زكّاه فضلُ الله مـــن أهـــواءِ
فانهَضْ له إن كنتَ تعرف قدره واسبِقْ ببذل النفس والإعداءِ
إن كنت تقصد ذُلّه فـــتُحقَّرُ وستَخْسَأَنْ كالكلب يوم جزاءِ
غلبتْ عليك شـــقاوة فتحقِّرُ مَن كان عند الله من كرماءِ
صعبٌ عليك سراجنا وضياؤنا تمشي كمشي اللُّصّ في اللَّيلاءِ
تهذي وأيـــمُ الله ما لك حيلة يومَ النشور وعند وقت قضاءِ

برقٌ من المولى نريك وميضَه فاصـــبر كصبر العاقل الرنّاءِ
وأرى تغيُّظَكم يفور كلُجّةٍ موج كموج البحر أو هَوجاءِ
واللهِ يكفي مِن كُماةِ نضالِنا جَـــلدٌ من الفتـــيان للأعداءِ
إنا على وقت النوائب نصبرُ نُزجي الزمانَ بشدة ورخاءِ
فِتن الزمانِ ولدنَ عند ظهوركم والسَّيل لا يخلو من الغثّاءِ
عُـــفْنا لُقِيّاكم ولا أســـتكرهُ لو حلَّ بيتي عاسِلُ البَيداءِ
اليوم أنصحكم وكيف نصاحتي قومًا أضاعوا الدين للشحناءِ
قُـــلنا تعالوا للنضال وناضِلوا فتَكنّسوا كالظبي في الأفلاءِ
لا يبصرون ولا يرون حقيقة وتَهالكوا في بخلهم ورياءِ
هل في جماعتهم بصير ينظرُ نحوي كمثل مبصر رنّاءِ
ما ناضـــلوني ثم قالوا جاهلٌ اُنظُـــرْ إلى إيذائِهم وجفـــاءِ
دعوى الكُماةِ يلوح عند تقابُل حدُّ الظُبات ينير في الهيجاءِ
رجلٌ ببطـــنِ "بَطَالة" بَطّالةٌ تعلى عداوته كـــرعدِ طَخاءِ
لا يحضر المضمارَ مِن خوفٍ عرًا يهذي كنسوان بحجب خفاءِ
قد آثر الدنيا وجيفةَ دَشْتِها والموت خير من حياة غطاءِ
يا صيدَ أسيافي إلى ما تأبزُ لا تُنجيَنّك سيرةُ الأطلاءِ

نجسّتَ أرضَ "بطالة" منحوسة ... أرض محربِـــئةٌ من الحِرباءِ
إني أريدك في النضال كصائد ... لا يـــركَنَنْ أحـــد إلى إرزاءِ
صدرُ القناة ينوش صدرَك ضربُه ... ويريك مُـــرَّاني بحارَ دماءِ
جاشت إليك النفس من كلماتنا ... خوفًا فكيف الحال عند مِرائي
أُعطيتُ لُسْنًا كاللقوع مُروِّيًا ... وفصيلُها تأثـــيـــرهـــا ببهاءِ
إن شئتَ كِدْ كلَّ المكائد حاسدًا ... البدر لا يغسو بلَغْـــيِ ضِـــراءِ
كذّبتَ صدّيقًا وجُزْتَ تعمّدًا ... ولئن سطا فيُريك قعرَ عَفاءِ
ما شمَّ أنفي مرغمًا في مشهد ... وأثَرتُ نقعَ الموت في الأعداءِ
واللهِ أخطأتم لنكبةِ بَخْتِكم ... باريتـــمُ ابنَ كريهـــةٍ فَجّاءِ
إني بحقدك كلَّ يوم أُرفَـــعُ ... أنمى على الشحناء والبغضاءِ
نلنا ثـــريّاءَ السماء وسَمْكَهُ ... لـــنردّ إيـــمانًا إلى الغبراءِ
اُنـــظُرْ إلى الفـــتن التي نيرانها ... تُجري دموعًا بل عيون دماءِ
فأقـــامني الرحمن عند دخانها ... لفلاح مُدّلجين في اللـــيلاءِ
وقد اقتضتْ زفراتُ مرضَى مقدمي ... فحضرتُ حمّالاً كئوسَ شفاءِ
لما أتيتُ القوم سبُّوا كالـــعدا ... وتخيّروا سُبل الشقا بـــإبـــاءِ
قالوا كذوب كَيْذُبانٌ كاذبٌ ... بل كافـــر ومـــزوّر ومُراءِ

مَن مُخـــبِرٌ مِن ذلّتي ومصيبتي مولاي خَتْمَ الرسل بحرَ عطاءِ
يا طيّبَ الأخلاق والأسماءِ أفأنت تُــبـــعدنا من الآلاءِ
أنت الذي شغَف الجَنانَ محبّةً أنت الذي كالرُّوح في حَوبائي
أنت الذي قد جذب قلبي نحوه أنت الذي قد قام للإصباءِ
أنت الذي بوداده وبحـــبّـــه أُيِّـــدتُ بالإلهام والإلـــقاءِ
أنت الذي أعطى الشريعة والهدى نجّى رقاب النّاس من أعـــباءِ
هيهات كيف نفرّ منك كمفسد روحي فدَتْك بلوعـــةٍ ووفاءِ
آمنتُ بالقرآن صُحفِ إلهنا وبكل ما أخبـــرتَ من أنباءِ
يا سيدي يا موئـــلَ الضعفاءِ جئناك مظلومين من جهلاءِ
إنّ المحبّة لا تضاع وتشترى إنّا نحبّـــك يا ذُكاءَ سخاءِ
يا شمسَنا انظُرْ رحمةً وتحـــنّنًا يَسْعَى إليك الخلق للإركاءِ
أنت الذي هو عين كل سعادة تَهوي إليك قلوب أهل صفاءِ
أنت الذي هو مـــبدء الأنوار نوَّرتَ وجه المدن والبيداءِ
إني أرى في وجهك المتهللِ شأنًا يفوق شؤونَ وجهِ ذُكاءِ
شَمْسُ الهُدى طلعتْ لنا من مكة عين الندا نبَعتْ لنا بِحـــراءِ
ضَاهَتْ أَياةُ الشمس بعضَ ضيائه فإذا رأيتُ فهاجَ منه بـــكائي

نَسْعى كَفِتْــيانٍ بدينِ مُحَمَّدٍ لَسْنَا كرجُلٍ فاقِــدِ الأعضاءِ

أَعْلَى الْمُهَيمِنُ هَمَّنا في دِينــه نَبني مَنَــازِلَــنا على الجوزاءِ

إنا جُعِــلْنا كالسيوف فندمَغُ رأس اللــئام وهامة الأعداءِ

ومِنَ اللئام أرى رُجَيلاً فاسقًا غُولاً لعينًا نُطْفَــة السُّفهاءِ

شَكِسٌ خَبيثٌ مُفْسِدٌ ومزوِّرٌ نَحْسٌ يُسمَّى"السَّعْد" في الجهلاءِ

ما فارقَ الكفرَ الذي هو إرثه ضاهَى أبَــاه وأُمَّــه بعــماءِ

قد كان مِن دُود الهُنودِ وزَرعهم مِن عَبدة الأَصْــنَام كالآباءِ

فالآن قد غلَبتْ عليه شقاوةٌ كانت مُبِــيــدةَ أُمِّه العمياءِ

إني أراه مُكذِّبًــا ومكفِّــرًا ومحقِّرًا بالــســبِّ والإزراءِ

يُؤذِي فما نَشكو وما نَتَأَسّفُ كَلْبٌ فيَغْــلِي قلبــه لِعُــواءِ

كحَل العنادُ جفونَه بعجاجة فالآن مَــن يحميه من أقذاءِ

يا لاعِني إنّ المهَيمِــن يَنْظرُ خَفْ قهرَ ربّ قادر مولائي

الحق لا يُصلَى بنار خديعة أَنَّى مِن الخفّاش خسرُ ذُكاءِ

إني أراك تمس* بالــخُيَــلاءِ أنَســيتَ يوم الطعنة النَّجْلاءِ

* هكذا ورد في الأصل، ويبدو أنه سهو، والصحيح: "تميس"، كما تدل عليه الترجمة الفارسية. (الناشر)

لا تتّـــبعْ أَهْواءَ نفسك شقوةً	يلقيك حُبُّ النفس في الخَوقاءِ
فرسٌ خَبيثٌ خَفَّ ذُرَى صهواتِه	خَفْ أن تزلّك عدوُ ذي عدواءِ
إنّ السُّـــمُوم لَشَرُّ ما في العَالَمِ	ومِنَ السُّموم عَداوةُ الصلحاءِ
آذَيــتَنِي خبثًا فلَسْتُ بصادق	إنْ لم تَمُتْ بالخزي يا ابنَ بغاءِ✪
الله يُخزي حزبَـــكم ويُعزّني	حتى يجيء الناس تحت لوائي
يا ربَّنا افْتَحْ بيننَا بكرامةٍ	يا مَن يرى قلبي ولُبَّ لِحائي
يا مَن أرى أبوابه مفتوحة	لِلسَّائليـــن فلا تـــرُدّ دعائي

آمـين

✪ ثم بعد ذلك كان مآل هذا العدوّ أنه مات بالطاعون خاسرًا خائبًا، فاعتبروا يا أولي الأبصار. منه.